كتاب
الهلال

الكاتب المصرى

وأدب القصة العالمى

د. سيد كريم

كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن ((دار الهلال))

رئيس مجلس الإدارة : مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير : مصطفى نبيل

سكرتير التحرير : عايد عياد

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ . سبعة خطوط

KITAB ALHILAL

العدد ٤٥١ - ذو القعدة ١٤٠٨ - يوليو ١٩٨٨

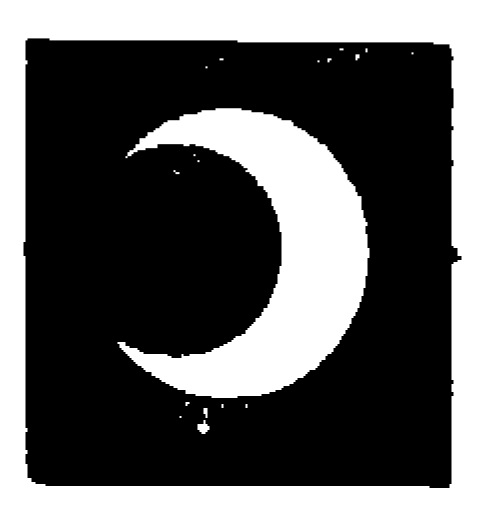
NO — 451 JULY 1988

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان ثلاثة عشر دولارا او ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الكاتبُ المصرى
وأدبُ القصّة العالمىّ

بقلم
د. سيّد كريم

دار الهلال

مقدمة

لا يعرف التاريخ كاتبا أسوأ حظا من هذا المصرى الجالس القرفصاء !

فلو أن ميلاده تأخر ستة آلاف سنة ، ولحق معنا بعصر حماية حقوق المؤرخين ، لحصل على حقوق تأليف الادب العالمى كله .. وصار أغنى أغنياء العالم !

ذلك انه المؤلف الحقيقى لأشهر الروائع القصصية الخالدة التى لا تزال نسخها تباع بالملايين ، منسوبة الى غيره ، سندريللا ـ على بابا ـ مجنون ليلى ـ شمشون ودليلة ـ الشاطر حسن ـ السندباد البحرى ـ ألف ليلة وليلة .. بل و « الكونت دى مونت كريستو » أيضا !

والذى يقطع بحق الكاتب المصرى فى حقوق تأليف هذه الروائع كلها هو « البرديات » الموزعة الآن على مختلف متاحف العالم ، والتى تروى الاصل الفرعونى لكل من هذه القصص .. بخط ذلك الجالس القرفصاء !

ويكفى أن نضرب هنا بعض الامثلة ..

● حكايات كليلة ودمنة ..

يقرأ العرب اليوم حكايات « كليلة ودمنة » على أنها حكايات كتبها الفيلسوف الهندى « بيدبا » ، وترجمها الاديب العربى « ابن المقفع » ، وتكمن جاذبيتها فى أنها

تستعرض أحوال البشر ، وتستخلص الحكمة منها ، ولكن من خلال قصص تلعب دور البطولة فيها حيوانات ٠

وحتى عصرنا هـــذا ، لا تزال معظم قصص الاطفـــال تستخدم نفس الحيلة ٠ وتصوغ من الحيوانات مخلوقات عاقلة ترمز بها الى نماذج من بنى الانسان ٠

ولكن أقدم نص تاريخى لهذا الطراز من القصص كان بقلم الكاتب المصرى القديم ٠ وهو ليس نصا واحدا ، وانما ثروة من النصوص ، تنتمى الى أقــلام مصرية متعـــددة ، الحكيــم كاجنى (معلــم أولاد الملــك حــوفى) ، والاديب كايروس ، والمعلم نصرى ، والحكيم « حور درف » ٠٠

ومن هذه الثروة من النصوص ــ التى كتب معظمها عام ٢٨٥٠ قبل الميـــلاد ــ قصـــص كانت تدرس فى مدارس الدولة الوسطى ٠٠ ومن عناوينهـــا : الثعلب والاوز ــ الذئب راعى الغنم ــ التمساح العجـــوز ــ النحلة وزهرة عباد الشمس ــ الاسد والغزالة الجميلـة ــ جيش القطط وقلعة الفيران ٠٠ الخ ٠

وتروى هذه القصة الاخيرة ، على سبيل المثـــال ، أن القطط حاصرت قلعة تحتمي بها الفيران ، فقررت الفيران أن تتحالف مع الكلاب ، على أساس أن القـطط هى العـــدو المشترك لهما ، وتم التحالف ٠ ودخلت الكـلاب المعركة ، وهزمت القطط ٠ لكنها بعد هزيمتهـــا أقنعت الكـــلاب بالتعاون معها فى التهام الفيران ٠ والتمتع بلحمها اللذيذ ٠ وتم بالفعل عقد تحالف جديد ٠٠ كانت ضحيته الفيران !

والقصة كما نرى هى أقدم نموذج للادب الذى يستخدم أبطالا من الحيوانات ليصور عالم الانسان ٠ وهو بالتحديد النموذج الذى نسج على منواله مؤلف « كليلة ودمنة » ٠

وليت السرقة اقتصرت على تقليد النموذج ، وانمـا هي في الحقيقة تجاوزت ذلك الى اقتباس التفاصيل ٠٠ خاصة فيما يتعلق بالصفات التى يمثلها كل حيـوان من أبطـال القصة ٠

فقد اختارت « كليلة ودمنة » ، كما اختار الادب العالمى كله ، نفس الصفات التي اختارها الكاتب المصرى لكي يرمز بها الى نفس الحيوانات ٠

اختار الكاتب المصرى الاسد معبرا عن القوة والعظمة ٠ وأطلق عليه اسم « ملك الحيوانات » ٠ واختار التمسـاح معبرا عن الغدر ٠ والكلب رمزا للوفاء ٠ والثعبـــان رمزا للشر والسحر ٠ والقرد معبرا عن الحكمة ٠ والثعلب معبرا عن المكر ٠ والذئب معبرا عن الخيانة ٠ ونسب الى الصقر السمو ، والى الخنزير الوضاعة ٠ والى النحلة النشـــاط والعطاء ٠

هل فعل كتاب قصص الحيوانات ــ بمـــا فيهم كاتب كليلة ودمنة ــ الا استخدام نفس الصفات لابطال قصصهم وتكـــرار نفس القصــص ٠ أو التأليف فى نفس اطارها والنسج على نفس منوالها !

قد يقال : ان استخدام الحيوان رمزا للتعبير عن ظروف مجتمع الانسان فكرة يمكن أن تخطر ببـــال أى كاتب ٠ وليس شرطا أن يكون سارقا لها من غيره ٠

ولكن ٠٠ إنتظر حتى تقرأ النموذج التالى !

● جحيم دانتى ٠٠

أو : رسالة أبى العلاء ●

هنا لا يلعب دور البطولة الحيوان ٠٠ وانما الانسان ٠

وهنا يتلخص الموضوع ، لا فى قضية الانسان وهو حي وانما في قضيته وهو بعد الموت ٠

وقد حفظ التاريخ لنا ٠ فى هذا الموضوع المثير ٠ عملين خالدين : « رسالة الغفران » للشاعر العربى الفيلسوف أبى العلاء المعرى ٠ و « الجحيم » للشاعر الايطالى الخالد دانتى الليجيرى ٠

وجوهر كل من العملين رحلة الى العالم الاخر ، نرى فيها أحوال الناس بعد أن انتقلوا اليه ٠ ولا يزال النقاد مختلفين حول العلاقة بين العملين : هل ظهر كل منهما مستقلا ٠ أم تأثر أحدهما بالاخر ؟

لكن النقاد لم يلاحظوا العمل الثالث الذى سبقهما بعدة قرون ٠٠ بقلم الكاتب الجالس القرفصاء !

صاحب هذا العمل هو الحكيم « آنى » مؤلف « كتاب الموتى » منذ اربعة الاف سنة ٠

وقد وصل الينا النص الذى كتبه « آنى » فى بردية واحدة ، عرضها أربعون سنتميترا ، وطولها ثلاثون مترا ٠ ويحفظها الان المتحف البريطانى ٠

وفى هذه البردية يزعم « آنى » انه مات وسافر الى العالم الاخر ٠ ثم عاد ليروى التجربة ٠ ويصف « انى » رحلة الروح يوما بيوم ٠ منذ تفارق الجسد ، الى أن يتم تحنيطه ، وتجرى له المراسم الجنائزية ٠ ثم رحلة المومياء الى الشاطىء الغربى للنيل ٠ حيث يتم دفنها ٠ ثم انتقال الروح في مركب الشمس عبر الفضاء ٠ حتى تصل الى « المحكمة التحضيرية » ٠٠ التى يتصدر منصتها اثنا عشر قاضيا يمثلون بروج السماء الاثنى عشر ٠

وفى هذه المحكمة يتعرف الميت على البرج الذى ينتمى

اليه ، والذى كان مسيطرا على صفاته ومنازله فى الحياة ويتزود بنصائح ممثل البرج وتعاليمه التى تعينه على مصاعب الرحلة القادمة ٠

ولكن ٠ ما هى هذه الرحلة القادمة ؟

انها تمر بسبع سماوات متعاقبات ٠ يصف كلا منها بالتفصيل ٠ ويصور ما تحتوى عليه من كائنات ومخلوقات وما يتعلق بكل منها من أساطير وحكايات ، وما يجب أن يتلى فيها من تعاويذ وأدعية ٠

ثم يصل « انى » الى المحطة الاخيرة ٠٠ وهى محكمة الاخرة ٠ هنا يتربع الاله « اوزير » على عرشه السماوى ، يشع النور من جسده ٠ ويضيء قاعة المحكمة بأكملها ٠

ويصف « انى » اجراءات المحاكمة ٠ والنيران ٠ والملكين اللذين يسجلان الحسنات والسيئات ٠ والاسئلة التى يوجهها القضاة ٠ والاجوبة التى أعدها مقدما ٠ والدفاع التى استعد به ٠

ويصدر الاله « اوزير » فى النهاية حكمه بتسجيل ولادة « انى » فى عالم الخلود ٠

وينتقل « انى » من المحكمة الى ما سماه « جنة الخلد » ويبدأ يصف هذه الجنة ٠ وكيف أنها مكونة من سبع طبقات (أو سبع جنات) تبدأ بجنة الابرار ، ثم جنة شهداء حرب العقيدة ، ثم جنة المرسلين ٠ وجنة الملائكة ٠٠ ثم تستمر صعودا حتى تبلغ أعلى درجات الجنة ٠ وهى « جنة النور » ٠٠ التى يقوم فيها عرش الاله ٠

ويواصل « انى » وصف الجنة ، ويذكر أن فيها نهرا من خمر ٠ ونهرا من لبن ينزل من ثدى « نوت » ،ونهرا من عسل ٠ وحقولا من القمح ، سنابله من ذهب ٠ وفيها ملابس لا تتسخ ولا تبلى ٠ وفيها شباب دائم ٠ وجسم

لا يعرف المرض أو التعب أو الفناء • وليس فيهـا أرواح خبيثة • أو شريرة • أو حيوانات كاسرة • أو حشرات •
لكن « انى » لا يفوته أن يصف الجحيم أيضا •
والجحيم الذى يزعم أنه شاهده يتألف من سبع طبقات كالجنة • وهذه الطبقات فى حقيقتها سبع بحيرات للعذاب ومنهـا بحيرة ماؤها من لهب • يلقى فيهـــا المجـــرمون فيتعذبون • ولكن لا تحترق أجسادهم • ولا يمـوتون • وفيها بحيرة تزخر بالتماسيح الجائعة المفترسة • وبحيرة ثالثة تسكنها الحيات والثعابين السامة •• الخ •
ولا ينسى « انى » وصف زبانية هذا الجحيم • وكيف أنهم جميعا وحوش وحيوانات ضارية • وكيف يتفننون فى تعذيب أهل الجحيم •
وقد يقال • هنا أيضا ، ان فكرة الذهاب الى العـــالم الاخر والعودة منه لا يشترط أن تكون مسروقة من « انى » الفرعونى • وقد تكون خطرت « لابى العلاء » أو « لدانتى الليجيرى » دون أية صلة بالاصل الفرعونى القديم ••

● على بابا •• والاربعين حرامى ●

تدور قصة « على بابا » الشـــهيرة حول خدعة ذكية ، تتلخص فى اخفاء عدد من القاتلين داخل براميل تحملهـا قافلة من الخيل •
ويرى كثير من مؤرخى الأدب أن القصـــة مأخوذة من ملحمة « حرب طروادة » اليونانية التى كتبها هوميروس • حيث خبأ اليونانيون جنودهم داخل حصـــان خشبى •• سحبه الاعداء الى حصنهم • ثم فوجئوا بخروج الجنود منه واستيلائهم على الحصن كله •

لكن المؤرخين فاتهم أن الاصل الاول لكل من القصتين يعود تاريخه الى عام ١٤٥٠ قبل الميلاد • وأنه مسجل فى بردية « هاريس » المصرية ، التى يحتفظ بها فى الوقت الحاضر المتحف البريطانى (تحت رقم ٥٠٠) •

كتب هذه البردية القائد المصرى « تحوتى » ، ووجهها الى تحتمس الثالث من فلسطين •

وكان « تحوتى » من ضباط تحتمس الثالث فى احدى حملاته الفلسطينية • وكان مكلفا بالاستيلاء على « يافا »

ولكن يافا استعصت على « تحوتى » • فعسكر بجنوده خارج حصن المدينة • وبدأ يفكر فى خديعة يقتحم بها الحصن • ويقهر بها مقاومة « يوبا » •• أمير يافا •

ورسم « تحوتى » خطته ببراعة •

أرسل الى أمير يافا جاسوسا يخطر الامير بأن « تحوتى » قد كان سيده تحتمس • وتمرد عليه • وأن تحتمس قد غادر البلاد بفلول جيشه بعد أن تمرد عليه جنود «تحوتى»

وأكد الجاسوس للامير أن « تحوتى » يريد التحالف معه ، وانه أحضر من مصر ثروة من الهدايا النفيسة • والاسلحة الفرعونية السحرية •• ومنها صولجان تحتمس السحرى • الذى تكفى ضربة واحدة منه لكى يفقد الاعداء الوعى •

واقتنع الامير بهذا الكلام • وسال لعابه للاستيلاء على الصولجان السحرى للملك تحتمس ، وقبل دعوة «تحوتى» المرابط خارج الحصن الى وليمة أقامها خصيصا لتأكيد ولائه لسموه •

وسالت فى هذه الوليمة أنهار الخمر حتى سكر الامير « يوبا » وجميع حراسه • وعندما بلغت نشوة الامير أقصى حدودها • طلب من « تحوتى » أن يسلم اليه صولجان

تحتمس الـذى وعد به · فقـام تحـوتى ، وأحضر هراوة ضخمة · وقال :

ـ أنظر يا أمير يافا ، وحاكم سوريا · هذا هو صولجان تحتمس الثالث ، الاســد الذى يكشر عن أنيابه · وهو الصولجان الذى أعطاه اياه أبوه « آمون » لينتصر به على أعدائه ··

ثم رفع الهراوة ، وهوى بها على رأس الامير · فسـقط مغشيا عليه · وفى نفس الوقت أطبق جنود « تحوتى » على حرس الامير · وأصبح الجميع أسرى ، مقيدين ، فى قبضة المصريين ·

وأسرع « تحوتى » ينفذ الجزء الثانى من خطته ·

أحضر مائتى قدر · ووضـــع فى كل قدر جنديا من المحاربين الاشـداء ، مسلحا بالاقواس والســـهام وباقى المهمات · وحمل كل أثنين من القدور حصان · ثم تخفى فى زى سائس · وقاد هذه القافلة كلها الى الحصن · ومعه عدد من جنود الامير الذين وقعوا فى قبضته ·

وأمام باب الحصن زعم « تحوتى » أن القافلة تحمـــل هدايا لأميرة يافا · زوجة الامير · وأيده فى هـذا الكـلام جنود الامير الذين جاء بهم معه ·

وفتح الحراس الابواب مرحبين · ودخلت القـافلة الى ساحة القلعة ·

ثم فجأة خرج المقاتلون من القدور · وانتشروا فى انحاء القلعة · واستولوا عليها ·

وهكذا سقطت يافا فى قبضة الجيش المصرى · وكتب « تحوتى » الى تحتمس الثالث هذه البردية ·· يروى فيها قصة الخدعة التى استولى بها على يافا · ويقول له : فلتهنأ أيها الملك العظيم برعاية والدك « آمون » ·· الذى ارتفعت

رايته على أرض « يوبا » • فقد أصبح أمير « يوبا » وكل قومه ومدينته صرعى تحت قدميك الى أبد الابدين • وسنحملهم اليكم أسرى لتملأ معبد أبيك « آمون » بالعبيد ذكورا واناثا !

هل يمكن أن يكون الشبه بين هذه القصة وبين قصة على بابا وحصار طروادة مجرد توارد خواطر ؟

ان هذه القصص التى رويناها مجرد أمثلة • لا أكثر !

وفى الادب المصرى القديم أمثلة أكثر تفصيلا • ونصوص أكثر اثارة • تؤكد أن معظم معالم الادب العالمى الخالد فى عالم اليوم كان كاتبها الاول هو المصرى المسكين الجالس القرفصاء •

وقد يفسر بعض المؤرخين هذه الظاهرة بأن الكاتب المسكين كان أكثر عبقرية من كل من جاءوا بعده • وأن الدنيا كلها أفلست فكريا بعد رحيله • ولم تستطع أن تكتب الا أشياء تكرر ما سبق أن كتبه هو •

وقد يكون لدى البعض الاخر تفسير اخر • وهو ان الموضوعات القصصية بطبيعتها محدودة • وأن الانسان القديم قد غطاها جميعا • ولا يمكن ابتكار غيرها •

ولكن هذا الخلاف يهم النقاد والمؤرخين • ولا يهمنا نحن لانه ليس موضوعنا • أو بتعبير أدق : لان لدينا موضوعا أهم منه •

لدينا النصوص الفرعونية لمعظم روائع القصص العالمى التى لا تزال منسوبة الى غير كاتبها الجالس القرفصاء •

وهذه النصوص هى التى سنبدأ نرويها كما كتبها صاحبها ـ لا بقصد انصافه فقط • ولكن أيضا بقصد انصافها • وامتاع القارىء بنصها الاصلى الذى شوهه الناقلون والسارقون والمقتبسون عبر ستة الاف سنة !

شمشون ودليلة أصلها :
عملاق جزيرة الشياطين !!

وهذه حكاية ثانية من حكايات الكاتب المصرى الجالس القرفصاء ، والتى اقتبسها كتاب العالم الحديث واشتهرت واشتهروا بها ، دون أن يعرف العالم أصولها القديمة التي ترجع الى هذا الكاتب المتواضع الذى مات منذ آلاف السنين .. الحكاية هذه المرة وجدت مدونة على قطع متفرقة من لوحات الاستراكا ، ومنقوشة على الاحجار فى حفريات سقارة .. وقد قام بترجمتها أكثر من كاتب على مختلف العصور ، من بينهم « مارش » فى كتابه : حكايات الزمن القديم . و « بروكسبانك » فى : أساطير الفراعنة ، و : تراجم الادب فى الدولة القديمة ، لسليم حسن ..

ولسوف يدهشك أن تلك القصة القديمة التى كتبت منذ بضعة آلاف من السنين ، هى الاصل الحقيقى للقصة المشهورة ، شمشون ودليلة .. !

كان في قديم الزمان عملاق ضخم الجسم أسود اللون بشع المنظر ، يسكن فى جزيرة نائية خلف شلالات النيل كان شديد البأس ذا قوة خارقة جعلت الجميع يخشون بطشه ويرتعدوا خوفا منه .

ولم يكن أحد يجرؤ على الاقتراب من الجزيرة وجعلت الجميع ينشرون حولها الخرافات ، وساد الاعتقاد بان الجزيرة تسكنها الشياطين .. وكان العملاق الضخم يعيش وحيدا فى الجزيرة فى كوخ مقام من جذوع النخيل وسط

غابة كثيفة من أشجار الدوم وشجرة كبيرة من أشجار السنديان النادر تمتد فروعها مرتفعة فى السماء لتستقبل أوراقها الفضية اشعة الشمس الذهبية وهى تطل من أفق الشروق ولا تغفل عنها حتى تودعها وهى تغيب فى أفق الغروب ·

ولم يكن يوجد بالجزيرة من الحيوانات الا الافاعى الضخمة والزواحف التى تجوب أرجاءها عندما يخيم الظلام وينام العملاق ·· وتحيط بشواطئها التماسيح المفترسة التى يخشاها الصيادون وتمنعهم من الاقتراب بقواربهم منها ، كما تعودت سفن الملاحة أن تتفادى الاقتراب من شواطئها وقد ساد الاعتقاد بين الملاحين أن تلك التماسيح ما هى الا شياطين النهر التى تحرس الجزيرة وتتلقف القرابين البشرية لتقديمها اليه ·

وتنتقل القصة الى وصف رحلة من رحلات صيد البط والاسماك والترفيه بالعزف والغناء التى يقوم بها الشباب في الليالى القمرية في أعياد الربيع ·· الى أن تهب عاصفة عارمة من عواصف غضبات النهر فتعصف رياحها العاتية بقوارب الصيد وينقلب بعضها ويذهب كثير من ركابها قربانا له ··

وهنا يجرف تيار النهر العاتى أنقاض قارب صغير تعلقت به حسناء جميلة وصفت بأنها أجمل جميلات مدينة طيبة « ت · أبت » يطلق عليها أسم ضياء الشمس وكان يتبعها تمساح ضخم كاد يفتك بها قبل أن تقذف الامواج بها الى شاطىء الجزيرة ·

وكان العملاق الضخم يرقبها وهو يقف ممدود القامة كشجرة من أشجار الدوم الذى يقف بينها · وما أن شاهد

التمســـاح الذى ذاك بن يفتك بها حتي هجم عليه ورفعه بيديه القويتين في الهواء ـ وكان طوله أربعة عشر ذراعا ـ ثم القى به على الشاطىء بعيدا عنها ، ولما حاول التمساح مهاجمته قبض على فكيه وفصـــلهما بيديه القـويتين عن بعضهما ومزقهما ، ثم يتقدم العملاق من « ضياء الشمس » التي تقف في ذهول مما رأت وحملها بين ذراعيه وسار بها الى كوخه ٠

ويدور حوار بين « ضياء الشمس » والعملاق فتقول له انها لا تعرف كيف تشكر الالهه التى استجابت لتضرعاتها ودعائها فأرسلته لانقاذها ؟

فيرد عليها بأنه هو الذى لا يعرف كيف يشـكر الالهه التى قبلت صلواته وتضرعاته ووهبته الزوجـة الجميلـة لتؤنس وحدته ٠ وأخذ العملاق يلاطفها ويتودد اليها ولكنها وجدته متوحشا يجمع بين الدمامة والقبح لدرجة لم تستطع معها مجرد النظر اليه ٠٠ ولم تجد ما تفعله سوى البكاء طول اليوم ٠٠ ولكنها عرفت أنها مهما صرخت أو استغاثت أو استعانت بالصبر فلن يمكن لاحد أن ينقذها أو يخلصها من ذلك العملاق المتوحش ٠ وقد غضب العملاق غضـــبا شديدا وخيرها بين أن تتزوجه أو يلقي بها الى التماسـيح فى النيل التى سرعان ما تفترسها وتمزقها ٠

فأخذت تتودد اليه حتى اطمأن اليها فقالت كيف أرفض الزواج منك وقد أرسلتنى الالهه خصيصا لك اســـتجابة لدعواتك ان كل ما أطلبه أن نتزوج زواجا ترضـاه الالهه ولا يغضبها ٠

فسألها ـ كيف ومتى يتم هذا الزواج ؟

فقـــالت ـ سيتم ذلك الزواج على يد اله المعبد الـذى

سيرسل لنا رسالة من رسائله تحملها معجزة من معجزاته تصل قبل عودة القمر أو فى مثل هذه الليلة بعد شهر قمرى .

فسألها ـ واذا لم تصل الرسالة ؟

قالت ـ معناه موافقة الالهه وعدم اعتراضها وبذلك أصبح أمامك وأمامهم شريكة حياتك .

وبدأت تتقرب منه وتتودد اليه بعد أن اطمأن اليها وتحاول أن تدخل السرور الى نفسه والغرور الى قلبه فتمتدح حجمه الضخم وقوته الخارقة وهى تقول ـ انى قبلت الزواج منك لقوتك وشجاعتك التى تجعل جميع الرجال يخشونك .. وليس هناك من يمكنه أن يقهرك أو يتغلب عليك .. وان كان ينقصك الجمال فان عندى تميمة حتحور وبها سر جمالى الرائع الذى يجعل كل فتاة أخرى فى مصر تبدو الى جانبه دميمة ، جمال دائم وخالد تزيده الايام نضارة وشبابا ما دمت أحتفظ بتميمة سره ، وسوف أطلعك عليها لانى أريد أن أفخر بأنك أقوى وأشجع وجال المدينة .. وأجمل شبابها بعد أن تطلعنى أنت على سر قوتك .

فقال لها العملاق الذى كان مسرورا بمديحها سعيدا بتملقها وهو مأخوذ بسحر جمالها ـ ليس هناك ضرر فى أن أخبرك بذلك السر .. أن سر قوتى هو قلبى الذى يبلغ من الحجم والقوة بحيث لا يمكننى أن أحتفظ به داخل جسدى .

فصاحت ضياء الشمس اذا كان قلبك كبيرا لدرجة أن لا مكان له فى جسدك ولا يمكنك أن تحتفظ بهذا القلب العظيم بين ضلوعك فأين تحتفظ بمثل هذا القلب المدهش؟

فتنهد العملاق الضخم وأجاب هذا هو سرى وسر قوتى ولكن حيث انك ستصبحين شريكة حياتى فلا خوف من أن أخبرك عن ان ذلك المخبأ يقع بين غصون قمة السنديانة الكبيرة التى تظلل الشاطىء الجنوبى للجزيرة ·

وطالما بقى فى ذلك المخبأ المحصن لن يستطيع أى انسان أو حيوان أو وحش ضار أن يواجهنى أو يتحدانى ·

فسألته ألا تخشى أن يصل اليه أو يسرقه أحد ··

فقال لها : لا يمكن أن يقترب أحد من الشجرة التى يقوم على حراستها ثعبان ضخم له رأس كرأس الثور يعلوه قرنان متلويان ، وله عينان تلمعان بلون أحمر كاللهب · وهو يلتف بجسمه الفضى اللون حول جذع السنديانة ولا يفارقها طول الليل والنهار ·

وانتظرت ضياء الشمس أسبوعين حتى وصل الفيضان وارتفعت مياه النهر على الشاطىء وغمرت جذع السنديانة ·· وعندما انتصف الليل وغلب النوم العملاق وعلا شخيره كالرعد الذى يزلزل الجزيرة فترتعد منه حيواناتها وطيورها وزواحفها · فتطمئن « ضياء الشمس » الى ان العملاق يغط فى سبات عميق فتتسلل بهدوء الى الشاطىء حتى تكون فى مأمن من تماسيح النهر وحيات البر حتى تصل الى شجرة السنديان التى تكون مياه الفيضان قد أحاطت بجذعها وغمرته ·· فابتعدت الحية الكبيرة التى تحرسها وزحفت الى أعلى التل حتى ينحسر الفيضان — وابتعدت التماسيح عن الشاطىء الجنوبى للجزيرة الى الشواطىء الاخرى حتى لا يجرفها التيار وأمواجه المتلاطمة فتسبح « ضياء الشمس » حتى تبلغ جذع السنديانة لتتسلقه بهدوء وهى تحتمى بين أغصانها حتى تصل الى

السلة المعلقة فى طرف السنديانة فتفك رباطها فتسقط السلة بحملها الثقيل فى النهر فتجرفها أمواج تياره الدافقة الى حيث الشلالات وصخورها الجرانيتية لتتحطم عليها .
وتعود ضياء الشمس الى الكوخ فتنام فى ركن من أركانه كعادتها حتى يستقيظ العملاق مع طلوع الفجر . وتطلب منه أن يحضر لها جذعا من جذوع شجر الدوم لسد بعض الفتحات فى حوائط الكوخ حتى لا تتسلل منها الافاعى لتفترسها فى الليل ، وكان من عاداته استعراضا لقوته الخارقة أمامها أن يحتضن الاشجار الضخمة من جذوعها ويخلعها من جذورها .. وقد راقبته هذه المرة وهو يفشل فى تحريكها بعد أن خانته قوة عضلاته . فتأكدت من أن مكيدتها قد نجحت فى سلب قوته بعد كشف سرها .
فذهبت للاستحمام كعادتهاكل صباح على شاطىء الجزيرة وراحت تصرخ مستنجدة به مدعية أن أحد التماسيح قد هاجمها وأراد اختطافها وأشارت له على تمساح ضخم يرقد بين الاعشاب فذهب اليه وحاول رفعه فى الهواء والقاءه على الشاطىء كما تعود أن يفعل دائما اظهارا لقوته أمامها فاذا بالتمساح الضخم يلقيه هو على الارض ويدور بينهما صراع عنيف ينتهى بأن يطبق التمساح فكيه القويتين على ساقه ويسحبه ليختفى به فى قاع النهر .
فتجرى « ضياء الشمس » حتى تبلغ الشاطىء الجنوبى وتجلس فى ظل السنديانة الكبيرة التى يغمر الماء جذعها وتقص خصلة من شعرها الاسود الطويل الذى يصل الى قدميها والذى تميزت به بين جميلات مدينة طيبة . وتلتقط فرعا من فروع السنديانة المتساقطة وتربط به الخصلة

بعناية فائقة وتلقيه في تيار النهر المقدس الذى تصلى له وتأتمنه على توصيله لأهلها وحبيبها •

وتذهب كل يوم لتتسلق السنديانة في الليل وتجلس فوق غصون قمتها العالية لتكـــون في مأمن من وحـوش الجزيرة وأفاعيها بالليل وترقب في ضوء القمر الذى بدأ في التكامل السفن التي تعبر النهر بعيدا عن الجزيرة خوفا من لعنة شياطينها • لكن احســاسها يؤكد لها بأن قاربا واحدا سيأتي في اتجاه الجزيرة يحمل أميرها المحبــوب عندما يكتمل القمر ويضيء له الطريق •

خلال ذلك الانتظار الذى تأرجح بين اليأس والامل لعدة أيام يكون فرع السنديانة الذى يحمل الخصــلة الطويلة السوداء قد جرفه التيار قرب شاطىء مدينة طيبة فيلتقطه أحد الصيادين بشباكه ، وما أن يرى الخصلة الســـوداء الطويلة التي اشتهرت بها الجميلة ضـــياء الشمس أجمل بنات طيبة حتى يهرع بها مسرعا الى قصر الامير الحــزين يحمل اليه البشرى الجميلة •

ويسرع الامير في طلب عراف معبد أمون الذى يسأله عن صاحبة الخصلة ومكانها ومصيرها • فيقــوم العــراف باستخارة الهته وهو يقلب الخصلة اللامعة بين يديه يقول: ان تلك الخصلة من ضفائر أجمل جميلات طيبة التي تحمل تميمة حتحور التي تحفظها وتحفظ جمالها ـ انها لا تزال حية لان الخصلة قد ربطت بعناية واحكام في فرع شجرة السنديان التي لا تنمو في تلك البلاد ولا يوجد منها الا شجرة واحدة تعلو بجزيرة الشياطين الواقعة في بلاد النوبة خلف الشلالات وستعود اليك عندما يتكامل القمر فتسقط من السماء بين يديك قبل أن يلمس قاربك شاطيء الجزيرة

لم يكد العــراف ينتهى من كلامه حتى أسرع الامير الى عربته واندفع بأقصى ما يستطيع من سرعة وتبعــه بعض حرسه وأتباعه الاشداء بعرباتهم وأخذت عربته تميــل من جنبة الى أخرى بتأثير السرعة ويســير فوق عجلة واحدة فتارة فوق العجلة اليمنى وتارة فوق العجلة اليسرى ولم تستقر العربة أبدا فوق العجلتين وهى تقفز فوق الشاطىء الصخرى الوعر حتى بلغ موضع الجزيرة فى الموعد المحدد باكتمال البدر وقد اســتدل على الجزيرة بالســنديانة الشاهقة التى بدت كالعملاق الفضى فى ضــوء القمر ٠
ويقذف الامير بنفسه فى قارب من قوارب الصيد الراسية على الشاطىء ويجدف بأقصى قوته متجها الى الجزيرة ولم يستمع الى نصائح الصيادين الذين طلبوا منه الا يجازف بحياته فيقع أسير شياطين الجزيرة وعملاقها الاســطورى المتوحش ٠٠ أو أن ينتظــر حتى يذهب برفقة حراســه وجنوده الاشداء بأسلحتهم وعتادهم ٠
وكانت « ضياء الشمس » تجلس كعادتها كل ليلة فى مكانها المختار فوق قمة السنديانة تراقب تحركات قوارب الصيد التى تتهادى فوق سطح النهر وتتفادى فى مسيرها الاقتراب من شواطىء الجزيرة المشئومة اذا بها تشــاهد قاربا يتجه وحيدا الى الجزيرة مباشرة فقفــز قلبهــا فى صدرها من الفرحة لانها تأكدت بأنه فارســها المحــبوب الذى سيصل مع اكتمال القمر فترجلت بسرعة وهى تقفز بخفة ورشاقة بين الاغصان حتى وصلت الى الفروع الكبيرة الممتدة فوق ماء النهر التى كان القارب يمر تحتها قبل أن يلامس الشاطىء واذا بها تقذف بنفسها لتسقط فى القارب بين يديه وهكذا تحققت نبوءة العــراف عنــدما قال :

« ستعود اليك عندما يتكامل القمر • فتسقط من السماء بين يديك قبل أن يلمس قاربك شاطيء الجزيرة • »
وتنتهي القصة بعودة « ضياء الشمس » الى طيبة التى تدخلها كتمثال الهه الجمال بجوار الامير الشاب فى عربته التى كانت تسابق الريح الذى يعبث بخصلات شعرها الاسود الجميل •
وتزوجت ضياء الشمس من أمير مصر وصارت ملكة تحدث الناس عنها بأنها كانت أحسن وأجمل ملكة حكمت على أرض مصر •

اللى كتب ألف ليلة كان في الأصل فرعونى !!

ونصل الى حكايات ألف ليلة وليلة الشهيرة والتى أدهشت جميع شعوب العالم انها ابداع خاص بها أنجبته قريحة أبنائها .

ولكن الكشف التاريخى المثير الذى ننفرد بنشره يرد للكاتب المصرى الجالس القرفصاء اعتباره فهو صاحب الفضل الاول فى ابداع « ألف ليلة وليلة » .

ـ وتعالوا نقرأ برديات ما كتبه ذلك الجالس القرفصاء !

● برديات وستكار !

فى برديات وستكار التى ترجع الى الدولة القديمة ٢٨٠٠ ق . م وتعتبر من أشهر البرديات التى أبدع فيها الاديب المصرى القديم فى الخروج من عالم الواقع الى عالم الخيال ووصف خوارق الاعمال فى عالم السحر والاساطير كما تعتبر فى نفس الوقت تطورا فى أدب القصة والخروج بها من اطار أساطير العقيدة الى حياة المجتمع !

وتشبه قصص برديات وستكار فى طريقة سردها وتسلسلها وتعاقبها واحدة بعد الاخرى قصص ألف ليلة وليلة المعروفة . وهى قصص رويت على ألسنة الامراء التسعة من أولاد الملك خوفو فى مجالس سمره والتى كان

يجمع فيها الحكماء والندماء والادباء والسحرة من معلمى أولاده ·

كان كل أمير يروى فى ليلة من الليالى فى مجلس السمر قصة من قصص معجزات السحر وجولات الفكر فى عالم الخيال · كانوا يجمعونها عن رواتها بواسطة أعوانهم ومعلميهم وعن حلقات السحر بالمعابد ويقومون بتدوينها ونسخها وتلاوتها فى حضرة الملك فى المجلس ·

● قرط الاميرة والساحر !!

ومن أمثلة قصص ألف ليلة وليلة الفرعونية قصة « جاجام عنخ » وتحكى القصة كيف خرج الملك سنفرو للتنزه فى بحيرة القصر مع الاميرة « مروى » فى سفينته ذات المقصورة الذهبية ـ التى أبدع الاديب فى سحرها ـ وقام بالتجديف عشرون وصيفة من أجمل العذارى ذوات أجمل الصدور والجوارح ولا يستر أجسامهن سوى غلالات من شباك الصيد وكن يجدفن بمجاديف مكسوة برقائق الذهب على أنغام القيثارات ونقر الدفوف ·

ثم تشرح القصة كيف فقدت الاميرة قرطها الذى سقط منها فى الماء ـ وكان على شكل سمكة من الذهب والفيروز ـ بينما كانت الاميرة تتغزل فى جمال وجهها المنعكس على صفحة الماء فتشاءمت الاميرة وانتابها الحزن وأمر سنفرو باستدعاء « جاجام عنخ » ساحر معبد آمون بمنف الذى ركع على شاطىء البركة وتلا عزائمه السحرية ثم ضرب سطح الماء بعصاه فانشق ماء البحيرة الذى كان عمقها اثنى

عشر ذراعا . فانكشف قاع البحيرة وظهر القرط الذهبى فنزل سنفرو والتقطه بنفسه ليسلمه للاميرة فعادت الافراح وكافأ فرعون « جاجام عنخ » مكافأة سخية وعينه ساحرا خاصا لقصر فرعون .

● الزوجة الخائنة والتمساح الشمعى !

ومن القصص التى حوتها نفس برديات وستكار قصة « الزوجة الخائنة والتمساح الشمعى » التى تحكى كيف صنع الساحر « أوبا أونر » تمساحا من الشمع طوله نصف ذراع والقاه فى البحيرة التى كانت الزوجة الخائنة تقابل فيها عشيقها أثناء غياب زوجها فى رحلاته مع الملك .. وكيف تحول تمثال الشمع الى تمساح ضخم حى قبض على العشيق . وغاص به تحت الماء واحتفظ به فى قاع البحيرة لعدة أيام حتى أتى الكاهن وأمره بالخروج به الى سطح الماء ليراه زوجها والشهود ثم أمره بافتراسه وتحول التمساح مرة أخرى الى تمثال صغير من الشمع حمله الساحر معه فى صندوقه الخشبى الخاص ثم أمر الزوجة الخائنة بأن تلقى بنفسها فى البحيرة لتلحق بعشيقها .

وفى قصة « تميمة حتحور » وهى من بين القصص التى لم تصل الينا كاملة فهى تحكى قصة الاختين مريت وتارى حيث يعجب الامير تاوى بالاخت الصغرى ويقع فى حبها فتلجأ الاخت الكبرى الى ساحر معبد حتحور الهة الحب والجمال فيعد لها تميمتين عبارة عن نصفى قلب زود كل منهما بتعاويذ خاصة ويطلب منها أن تحمل احداهما وتعلق الاخرى على عنق الامير . فتقوم التميمة بالتأثير على

حاملها والسـيطرة عليه ليخضع لمشيئة الاخر ويربطهما ببعضهما برباط لا يمكن فصله وعند زيارة الامير لهما فى البيت غافلته مريت ووضعت التميمة فى قلادة صـدره ضمن ما يحمله من تمائم •

وبالفعل تحقق تأثير التميمة حيث سرعان ما تحول حبه عن اختها ووقع الامير أسير غرامها وطوع مشيئتها وأمرته أن يسرع بتحديد ميعاد مصاحبتها الى المعبد لعقـد قـرانه عليها •

وهنا تلجأ الاخت الصغرى عندما كشفت خديعة أختها ــ وسر التميمة التى يحملها الامير ــ الى احدى صديقاتها من وصيفات الامير وتتفق معها على سرقة تميمة حتحـور من قلادته واحضارها اليها بعد ما وعدتها باهدائها جـوهرة ثمينة من جواهرها لقاء قيامها بتلك المهمة •

وتنجح الوصيفة فى نزع التميمة من القلادة واحضارها اليها • وتقوم تارى بدورها باهداء التميمة لعبد دميم من عبيد القصر تقديرا لاخلاصه فى خدمة سيده ونشاطه فى العمل بالقصر وتحدث المفاجأة وتعمـل التميمة عملهـا فينجذب العبد نحو مريت ويسـعى للقائها فتقـابله بالحديقة ويقع كل منهما فى حب الاخر فتهرب معه خـوفا من بطش الامير •

وبذلك يخلو الجو لتارى والامير الذى يعود اليها معتذرا عن تصرفاته نحوها وعندما عرف بقصة التميمة أخذ تارى معه الى معبد حتحـور حيث عقد قـرانه عليهـا وطلب من الساحرة ابطال عمل التميمة. انتقاما من مريت والعبد حيث سيفيقان من الحب على الكراهية والحقد ويهرب كل منهما من الاخر !

● عازف الناى الاخرس !

ومن بين قصص ألف ليلة وليلة الفرعونية التى ترجع الى الدولة القديمة أيضا قصة « عازف الناى الاخرس » تحكي الاسطورة قصة « أى نو » الراعي العاشق الاخـرس الذى كان يبكي حبه وهو جالس على شاطىء النيل ويرفع شكواه الى « سين » اله القمر وقد حرمته الحياة من نعمة النطق لان لسانه عاجز عن التعبير عما يريد أن يقوله ليعبـر به عن حبه للجميلة « تاميو » فأرسل له القمـر احدى عـرائس النهر التى طفت بين ثنايا الشعاع الفضى الذى يكسو صفحة الماء لتستمع الى شكواه وتستجيب لدعائه فتقـدمت منه ونزعت عودا من أعواد الغاب الذى يكسو الشاطىء وقدمته له وطلبت منه أن ينفخ فى العود بأحاسيس قلبه وما يريد أن ينطق به . وتصف الاسطورة كيف تسـاقطت دموعه الحارة على غابة الناى فحفرت الثقـوب التى خرجت منها أول وأجمل أنغام الحب .

وتستمر القصة وأحداثها بخـروج حبيبتـه من القصر باحثة عن مصدر تلك المفاجأة التى تنطق بكل معانى الحب وينير اليها القمر الطريق بين المزارع لتصل الى مصدر تلك المفاجاة التى تنطق بكل معانى الحب .

وهكذا جمع الناى « أى نو » بحبيبته « تاميـو » التى سمعت صوت نداء قلبه عن طريق أنغام نايه .

تحوى برديات هاريس التى تعود الى الاسرة الثـانية عشرة مجموعة كبيرة من القصص المماثلة التى تتشابه فى كثير من وقائعها وأسـلوب سردها مع قصص ألف ليلة المعروفة وبعض القصص قد كتبت بأسلوب مسرحى مما

يرجع بعض المؤرخين انها كانت تمثل فى المسارح الشعبية والاعياد أسوة بالمسرحيات الدينية المشـــهورة التى كانت تمثل فى المعابد وفى الاعياد الدينية ٠

لقد وجد بين برديات مقابر الدولة الوســـطى بعض الصفحات المتفرقة ونصـــوص غير كاملة لبعض القصص المسرحية من بينها مشهد أو مقطع من قصة «عودة المحارب» التى يحتفظ بها متحف برلين والتى يعتبرها نقـاد الادب العالمى نموذجا لاروع ما وصل اليه الخيـال فى القصـة المسرحية ٠

وتصـف البردية منظـر الاميرة وهى تجلس فى شرفة قصرها المطل على النيل تحتضن ابنها الطفل الذى يسألها عن أخبار عودة أبيه البطل الذى يقود جيش فرعون ويقاتل الاعداء فى وادى القمر (سينا) ٠ وقد عده بأنه سيحضر له هدية عبارة عن سيف ذهبى من ســيوف قواد الاعداء الذين سيقتلهم ٠

ويقطع السكون صوت أحد صيادى الســمك وهو يغنى بصوته الجميل بمصاحبة ضربات مجاديف قاربه الذى يعبر به النهر ٠

فيسأل الطفل أمه ٠٠ لماذا يغنى الصــياد وهو يجدف فترد عليه بقولها « يا ولدى أن النهر هو نهـر الحيـــاة بشاطئيها ٠٠ والرحلة بين الشاطئين هى رحلة الوجود انها رحلة طويلة وشاقة وضربات السواعد تحتاج الى مجهـود مضن ومستمر للعيش وكسب الرزق لبلـوغ نهايتهـــا بسلام » ٠

والرحلة تحتاج الى زاد من المجهود الجســمانى والعقلى المتواصل فلكى ينسى الانسان تعبه فانه يغنى ليسلى نفسه

ويتغلب على تعبه وملله ويقطع وقته !

وبينما هي مسترسلة في حديثها الذى نسيت انه لا يتفق مع سن طفلها تلتفت اليه فاذا به ينعم بسبات عميق سعيدا بأحلامه التي نقلته الى عالمه • وتترك مكانها لتتوقف عند حافة الشرفة لتتطلع الى القمر الذى بدأ يأخذ مكانه في قبة السماء وبدأت تناجيه بسؤالها « يا رسول الاله فى سماء الليل يا من تحرس الكائنات وترعاها في سكون الليل لقد طلبت بالامس أن أسألك عما أريد ـ أسألك عن الغائب فى المجهول ! »

ما هو سر الوجود ؟ فأجابها القمر على سؤالها برسالة كتبها بأشعته الفضية على صفحة الماء ـ حاولت أن تفهم منها شيئا فعجزت عن حل رموزها • فقالت له تلك الرسالة لا يمكن فك رموزها لقراءة فحواها ؟

فرد عليها ـ وهكذا سر الوجود علمه عند رب الارباب الاله الاعظم وليس للالهه أو البشر فى الاطلاع عليه ـ أو حتى السؤال عنه •

واعتذرت للقمر على جرأتها للسؤال وطلبت منه أن ينبئها أو ينقل اليها أخبار حبيبها الغائب والذى يحارب على أرض سينا (وادى سين) •

ويكمل القمر رحلته فى قبة السماء ويعود في اليوم الثانى ليجدها فى انتظاره حاملا اليها رسالة حبيبها المحارب كما وعدها ويخط لها الرسالة على صفحة الماء بأشعته الفضية بخط أمكنها فك رموزه وقراءته وتناجى القمر فى صلواتها كل يوم وتحمله الرد على الرسالة وتبثه أشواقها لرؤياه ولهفتها للقائه !

وتمر الايام ـ وهى على أشد اللهفة لاستقبال القمر وهو

يحمل رسالة حبيبها التى طال غيابها واذا بوجه القمر تحجبه سحابة قاتمة ترد على سؤالها بدموع سين وهى تتساقط من خلال السحاب وتصرخ وهى تسأل القمر عن رسالة حبيبها ولكن السحابة تحجب أشعة القمر أو ذراعه من أن تمتد لتخط الرسالة على صفحة الماء ٠

ويتوقف الحوار المسرحى الرائع عند ذلك المقطع من البردية وربما تكشف الايام عن بقيتها التى قد تكون فى حوزة مخازن دور الاثار العالمية ضمن مئات البرديات التي لم تترجم بعد ٠

مونت كريستو .. وسر يذاع لأول مرة !!

ان مغامرات « ون آمون » التى اكتشفت بردياتها فى احدى مقابر الاسرة العشرين فى مدينة طيبة تعتبر من أروع نماذج أدب المغامرات فى الدولة الحديثة .

وهى قصة كاهن من كهنة معبد آمون يروى مغامراته فى رحلة قام بها من طيبة بأمر « حريحور » حاكم طيبة وكاهنها الاكبر للذهاب الى سوريا لشراء خشب الارز اللازم لتجديد زورق آمون المقدس .

ويظهر من الوثيقة التى دونت بها القصة أن العلاقات السياسية بين مصر وسوريا لم تكن على ما يرام حيث منع حكام سوريا تصدير أخشاب الارز اللازمة لصناعة الزوارق المقدسة ومراكب الشمس والتوابيت والاثاث الجنائزى بالمعابد بالاضافة الى الاخشاب العطرية اللازمة للبخور .

وقد تطوع « ون آمون » بالقيام بتلك المغامرة والسفر الى بيبلوس لاحضار الاخشاب المطلوبة فزوده حريحور بتمثال من البرونز للاله آمون لحمايته ويطلق عليه اسم « آمون رفيق الطريق » .

وبعد مغادرة مدينة طيبة عرج « ون آمون » فى طريق رحلته على « سمندس » حاكم تانيس لمعاونته ماليا . فلما علم سمنداس أن الخشب مطلوب لزورق آمون المقدس زوده بالذهب والفضة اللازمين لشراء الخشب والبخور اللازمين للمعبد كقربان منه شخصيا للاله . وأمده ببعض الهدايا النفيسة من العاج والبردى ونسيج الكتان ومصنوعات مصر القيمة .

وأبحر ون آمون فى سفينته الشراعية بصحبة مجموعة من أمهر ملاحى مصر الاشداء • وكانت « دور » أول مدينة وصلوا اليها على الشاطىء الفينيقى بعد رحلة استغرقت شهرين استعانوا فيها بالقبة السماوية فى تحديد خط المسير ومعرفة اتجاه الريح وأحوال البحر •

وبينما كان ملاحو السفينة يستريحون على الشاطىء من عناء الرحلة تربصت بهم عصابة من أهل « ثاكر » تسللوا الى السفينة في غفلة من ملاحيها وسرقوا ما بها من ذهب وفضة كما سرقوا الهدايا التى حملها ون آمون معه ليقدمها الى حاكم بيبلوس من سمندس ملك مصر •

لما تقدم ون آمون بالشكوى لحاكم « دور » نفى الاخير مسئوليته عن رد المسروقات • وبعد أن غادر ون آمون مدينة دور في طريقه الى بيبلوس اكتشف بالقرب من شاطىء المدينة مخيما لاحدى قبائل الثاكر التى ينتمى اليها سارقو الذهب والفضة من سفينته وقد دله عليهم تمثال « رفيق الطريق » فباغتهم برجاله فى الليل ووجدها فرصة لاغتصاب أموالهم تعويضا أو رهنا حتى يسترد ما فقد من أموال آمون •

يستمر ون آمون في رحلته ليصل الى بيبلوس عند شروق الشمس وكانت أخبار رحلته وقصته مع أهل ثاكر قد سبقته اليها عن طريق رسل حاكم دور الذى كان يكره المصريين • فرفض أمير بيبلوس أقامته في بلده تجنبا للمشاكل خاصة عندما أخبروه أن ون آمون هو الذى سرق أهل ثاكر وليس العكس وطلبوا تفتيش سفينته للتأكد مما تحمله مما سرقه من أهل ثاكر كما أخبره حاكم دور •

ويشرح ون آمون فى بردية القصة كيف قضى أياما طويلة فى محاولة مقابلة الامير شخصيا ورفضه مغادرة

الميناء قبل أن يحقق رغبة الاله آمون التى لا يمكنه العودة الى مصر قبل تحقيقها .

وهنا يتذكر « ون آمون » تمثال رفيق الطريق الذى كان قد أخفاه طوال تلك المدة في قاع السفينة خــوفا عليه من السرقة فيلجأ الى استخارته فتتحقق المعجــزة فورا واذا بالامير يرسل اليه رسولا يدعوه لزيارته .

عرف ون آمون ان رســـل الامير الذين قاموا بتفتيش السفينة للتأكد من دعوى أهل ثاكر وحاكم دور أخطــروا الامير بعد تفتيش السفينة أن دعواهم ليس لها نصيب من الصحة كما عرف ون آمون عندما استخار « رفيق الطريق » انه هو الذى أعماهم عن رؤية المسروقات ولو انها كانت فى مكان ظاهر على ظهر السفينة وليست فى مخابئها التى قاموا بتفتيشها .

وصف ون آمون مقابلته لأمير ببيلوس بقـــوله « كان الامير الذى عرف بضخامة الجسم وشراسة الطباع جالســا في ايوانه الخاص بالدور العلوى بقصره الذى يطـــل على الميناء وظهره للنافذة المطلة على البحر الســورى بامواجه المتلاطمة وعواصفه المتشابكة .

ويدور حوار عنيف بين الامير و « ون آمون » بوصــف رحلته بأنها « مغامرات أطفال وأعمال قرصان » ويســخر من حارسه الالهى رفيق الطريق الذى لم يتمكن من حفــظ الاموال التى أرسلها الاله آمون لشراء الاخشـــاب والذى يدعى انها سرقت منه بينما يعلم الامير انه هو الذى سرق أموال الثاكر ويرفض أن يعطيه الاخشـــاب الا بعد دفع ثمنها . فالاخشاب ملك له وحده وليســت ملكــا لمصر أو لالهها آمون .

ويدور في البردية حوار طويل يقول فيه ون آمون ان أخشاب الارز ملك لآمون وما الامير الا حارس عليهـا وان « لبانو » لبنان التى تنمو بها أشجار تلك الاخشـاب هي مزرعة الاله ويحمل الامير تبعة مسئولية رفضه ارســال أخشاب الزورق المقدس ٠

وهنا يثور أحد شباب العائلة من الحرس الخاص للامير ـ وتصفه البردية في مكان آخر انه اكبر أبنـاء الامير ـ ويتطاول على ون آمون ويحاول مبارزته وقتله ويتهمه هو والهته بالدجل فيتدخل الامير ويمنع ابنه من قتله لان ون آمون لا يحمل سلاحا يدافع عن نفسه ٠

يصرخ ابن الامير في ون آمون ويقـول له : ما لالهـك أخرس لا ينطق فلينقذ حيـاتك ، ويأمر الامير ون آمون بالعودة الى سفينته ومغادرة بيبلوس قبل شروق الشمس ٠

ما كاد ون آمون يصل الى سفينته حتى أرسل الامير فى استدعائه ثانية فقد نزلت لعنة آمون على ابنه الذى لم يكد ينتهي من قوله « ما لالهك أخرس لا ينطق » حتى فقد النطق هو نفسه وخرس لسانه عن الكلام ٠

وخاف الامير أن تنزل اللعنات عليه هو أيضـا ـ كما هدده ون آمون قبل خروجه من المجلس ـ فاظهر التمثال معجزة الاله بأن أعاد النطق الى ابن الامير وعفا عما تفوه به الامير وحاشيته ٠

وأمر الامير بتسليم آمون الشحنة بأكملها كهـدية منه لمابد آمون وقربانا للالهه ٠ ولكن الامـير أخبره بأنه غير مسئول عنه وعن سفينته بعد مغادرتها شواطىء بيبلـوس لانه يعلم أن احدى عشرة سفينة من سفن قرصان أهل ثاكر تتربص له خارج الميناء لتهـاجمه عند خروجه الى عرض

البحر لتستولى على الشحنة بعد أن تغرق سفينته وتقتــل ملاحيها •

وتستمر القصة لتصف مغامرة ون آمون عندما اشــاع في المدينة انه سيبقى ضيفا على الامير لمدة أســبوعين حتى يصبح القمر بدرا فيغادر المدينة بسفينته في ضوء القمر •

ولكنه انتهز فرصة غياب القمر وظلمة الليل وهبــوب العاصفة فتسلل بسفينته خلسة في نفس الليلــة •• الى عرض البحر !

وعندما أشرقت شمس الصباح التالى اكتشفت قافلــة القرصان هربه فتتبعوه عدة أيام فى معركة بحرية صامتة حتى اقتربوا من سفينته فظهرت معجزة رفيق الطريق مرة اخرى عندما ثار اله البحر وارتفعت أمواجه كالجبـــال الشاهقة وكانت تختفي السفن فلا يظهر منها الا أطــراف أشرعتها وقامت عاصفة عاتية لتشترك فى الصراع وتحطم أشرعة السفن وتكسر مجاديفها وأخذت الامواج تتقاذفهــا بملاحيها حتى غابت عن أعينهم سفينة ون آمون بشحنتها المقدسة ولم يتمكنوا من اللحاق بها •

أما سفينة ون آمون فقد قذفت بها الامواج الى شاطىء أرض سابا (قبرص) وهنا تبدأ مغامرة جديدة من مغامرات (مونت كريستو) •

تنزل عصابة من جبال الجزيرة لقتلــه ونهب حمــولة سفينته ـ وقد اشتهرت جزيرة سابا باسم جزيرة القرصان الذين تخصصوا فى قطع الطرق البحــرية المحيطــة بهــا وخروجهم على القانون •

ودخل ون آمون ورجاله فى معركة معهم لم ينقذه منهــا سوى جنود أميرة المدينة الذين تصادف مرورهم بالقرب من الشاطىء •

فقام جنود الاميرة بوضع حراسة لحمـــاية الســـفينة وركابها وحملوا ون آمون الى الاميرة بناء على طلبها • فلما عرفت من هو وسمعت منه قصة مغامراته مع رفيق الطريق لتوصيل شحنة زورق الاله المقدس ـ وقد قامت بترجمـة حديثه وصيفة الاميرة وهى مصرية الاصل ـ فاكرمت الاميرة وفادته وقامت بحمايته هو ورجاله أيضا •

وأقام بالجزيرة أسبوعا قام فيه باصـــلاح ما حـدث لسفينته من خلل أثناء جنوحها مكث خلاله فى ضيافتها فى قصرها الذى يعلو الربوة المطلة على الميناء والبحـر الازرق العظيم •

ويفهم من سياق القصة التى فقدت بردياتهـا للاسـف الكثير من أجزائها أن الامـيرة وقعت فى غـرامه وحاولت اغراءه للبقاء بجوارها ولكنه أسر لها بخوفه من لعنة آمون ورفيق الطريق اذا لم تصل الشحنة الى طيبة قبـل عيـد « ايبيت » عيد زورق آمون المقدس فاقنعها بضرورة عودته بالسفينة الى طيبة • فحملته الاميرة بالهدايا والقرابين لملك مصر ومعابدها كما كانت أول من اعتنق ديانة المصريين بعد ما شهدت معجزات التمثال •

وهنا تنقطع القصة التى يفهم من بقـايا أجزائهـــا ان الوصـــيفة المصرية تسللت الى السفينة واختفت بها ولم تظهر الا بعد أن أصبحت السفينة فى عرض البحر وبالقرب من شواطىء مصر •

وربما كان لمغامرة الوصيفة دور فى قصة غرام أخرى مع ون آمون أو كونت دى مونت كريستو الفرعونى حيث تمثل العنصر النسائى الذى لا غنى عنه فى قصص المغـــامرات العالمية •

السندباد البحرى على الطريقة الفرعونية !!

ان قصة الجزيرة المسحورة أو جزيرة الثعبان تعتبر نموذجا لادب قصص المغامرات فى الدولة الحديثة وقد وصفها كثير من الكتاب باسم قصة « السندباد الفرعونى »

تبدأ أحداث القصة بأن يسرد بطل القصة مغامراته فى احدى برديات بريس بالمتحف البريطانى ضمن حفريات الدولة الحديثة بوصف مغامرات رحلته التى يبدأها بوصف سفينته التى يبلغ طولها مائة وعشرين ذراعا ويبلغ عرضها أربعين ذراعا يقودها مائة وعشرون ملاحا من أمهر ملاحى مصر ـ قلوبهم أقوى من قلوب الاسود وعيونهم أشد حدة من عيون الصقور وسواعدهم تصارع أعتى الامواج ولهم خبرة بالبحر وأسراره ٠

كانوا يعرفون من أين تهب العاصفة قبل مجيئها ٠ كانت قبة السماء يعرف منها طريق سيره ويستخبرها فتنبئه بما يخبئه القدر ٠

ومع ذلك غدر به اله البحر وهو فى غفلة عما تطويه صفحات المصير ٠ فهاجمه البحر وباغته بامواجه التى بلغ ارتفاعها احد عشر ذراعا ٠ حطم سفينته وغاص بها الى قاعه بجميع بحارته فلم ينج منهم أحد سوى بطل القصة ليروى قصة رحلته التى تعتبر من أروع أمثلة أدب الرحلات الفرعونية ٠

يبدأ مغامراته بقوله « بعد ثلاثة أيام وأنا متعلق بلوح خشبى مما تخلف من بقايا السفينة ـ تتقاذفنى الامواج حتى القت بى الى شاطىء مهجور ٠ نمت فى ظلام الوحشة

فوق رماله • لم يوقظني من ثباتي العميق الا الجوع وأخذت أبحث عن غذاء •

كان الشاطيء يمتليء باشجار التين ذات الثمار الذهبية وعناقيد العنب كأنها تتدلى من السماء وثمار كثيرة لم أرها من قبل واشجار عالية كثيفة متشابكة الاغصـــان غريبة الاشكال •

الزهور والطيور والاسماك مختلفة الاشكال والالوان •• تشير جميعا الى انني في عالم جديد لم يطرقه أحد من قبل فأكلت حتى شبعت وحفرت حفرة ملأتها بالاخشاب واشعلت نارا وركعت وصليت شكرا للاله وقدمت له قرابين الشكر على ضوء هذه النيران •

وفجأة اذا بصوت يدوى كالرعد اضطرب له جو المكان واهتزت له الاشجار وارتعشت أوراقها وسقط فوقي ظل حجب عني ضوء الشمس فرفعت رأسي لارى أمامي ثعبـانا عملاقا طوله ثلاثون ذراعا رأسه في حجم ثور ضخم ولحيته طولها ذراعان • وعيناه بلون الفيروز ولون جسمه فضي به نقوش ذهبية ورسوم زرقاء كالوشم السحرى •

فنطق بفحيحه المخيف وقال : من أنت ايهـــا القــزم الحقير ؟ وكيف وصلت الى هنا •• ومن أتى بك الى جزيرتي المسحورة ؟

عقد الخوف لساني ولم أسمع سوى ضربات قلبي وقد سكن كل شيء في الوجود حولي حتى أمواج البحــر وريح الجبل • ففتح الثعبان فمه وحملني بين فكيـه وزحف بي الى كهفه فوق قمة جبـل الجزيرة • وكانت المفـــاجأة أن الكهف أكبر من قاعة فرعون •

والقاني الثعبان في ركن الكهف ولم يمسسني بسوء •

فتحسست جسمي الذى كان بين أنيابه فوجدته سليما •
طوى الثعبان نفسه وتكور كالهرم المدرج ورفع رأسه وعيناء تشعان ببريق ساحر وأعاد سؤاله مرة أخرى •
أيها القزم الصغير •• من أنت ؟ وكيف وصلت الى مملكتي ؟
وأخبرته اننى خرجت بسفينة فرعون برفقة مائة وعشرين ملاحا من أقوى وابرع ملاحى مصر للسفر الى مناجم الذهب والاحجار الكريمة فى أرض « تيم » •
وقصصت عليه قصة معركتنا مع اله البحر وكيف لقى جميع الرجال الاشداء حتفهم رغم علمهم بأسرار البحر ولغة النجوم ولكنهم لم يستجيبوا لاستخارة الاله آمون الذى حذرهم من القيام بالرحلة وبدئها في ذلك اليوم • وقد أخفوا على تلك الاستخارة فواجه كل منا مصيره ونجانى الاله آمون لانهم أخفوا عنى رسالة استخارته وأمره المقدس •
وبعد أن سمع الثعبان قصتى بأكملها وتأكد أنى لا أقول الا الحق وبحق الاله رع الذى تشرق طلعته كل يوم على الجزيرة ليدور دورته اليومية فى الافق الازلى فيرعى مخلوقاته ويدبر مصير كل كائن عليها •• و •• و ••
•• ومن بقايا الحوار الذى فقد جزء كبير منه يفهم ان الثعبان كان أحد الاله المقربين للاله الاعظم لنقل تعاليمه ورسالته الى البشر ولكنه عصى الاله وخرج عن طاعته عندما ظن انه بما أعطى من قوة وأسرار قد أصبح أقوى من الاله نفسه فحوله الاله الى ثعبان قوى وعملاق كرمز للشر وتركه يتحكم فى مصير الكائنات فى مملكته وفى كل من آمن به من سكانها ممن عصوا الاله العظيم •

كذلك كشف عنه الحجاب ليعرف الغيب وكان ذلك أول انتقام للاله العظيم من الثعبان حيث استشف من الغيب انه فقد نعمة الخلود التي يتمتع بها الالهة وان نهـــايته ومصيره ومصير مملكته قد رسمت صورتها في لوحة القدر وتحدد ميعادها ولن يفلت منها ٠

ويقول الثعبان : لانني أعلم الغيب وأرى ما سيحدث لى وما يخبئه المستقبل لى كما سبق أن أخبرتك ٠ فقد عرفت انك ستصل الى أرض مملكتى فى ذلك اليوم وأعلم مصير من كانوا معك وانك لم تقل غير الصدق ٠

ثم أضاف الثعبان قائلا : أرى فى الغيب انك ستمكث بيننا أربعة أشهر تعود بعدها الى أهلك وأحبابك٠٠وها أنا أراك تضمهم الى صدرك وكتب لك أن يكون قبرك فى أرض بلدك الذى جئت منه وستعود اليه ٠٠ فان كنت قد سألتك من أنت وكيف جئت فما كان ذلك الا لكى أعرف منك هل ستكون صادقامعى أم لا ٠

سأقص عليك أسرار مملكتى التى يحيط بهـا المحيـط الازرق العظيم من كل جانب وهو مسئول عن حمايتها حتى لا يطرق أبوابها أحد ٠ ستعيش بين أخوتى وأبنائى وعددهم خمسة وسبعون ثعبانا واتباعهم وخدامهم وفتــاة واحدة جميلة ٠ ستجد فى جزيرتى كل ما يشتهيه قلبك وعيناك وبطنك ٠

ولا أطلب منك الا الطاعة والشجاعة والصبر ٠ ستأتى سفينة تائهة بعد أربعة أشهر لتحملك الى أرض مصر التى تبعد من مملكتى بمسافة زمنية قدرها شهران ٠٠و ٠٠ و

وتنتقل البردية الى نهاية الرحلة حيث يقول الثعبـــان وهو يتطلع الى الافق البعيد انه يرى المركب اتية فى اتجاه

الجزيرة وعلى بعد ثلاثة أيام منها .
ويصف بطل القصة كيف كان يصعد كل يوم الى قمة الشجرة العالية ينظر الى البحر فى انتظار المركب حتى اليوم الثالث فاذا بأشرعة مركب من مراكب مصر تظهر فى الافق فيهبط من أعلى الشجرة ويهلل ويرقص فرحا ويركع أمام الثعبان العظيم عالم الغيب .
وبالفعل وصلت السفينة والقت مراسيها فما أن شاهد بحارة السفينة الثعبان حتى ارتجفوا من الرعب . فأمرني الثعبان أن اطمئنهم وانهم سيبقون فى ضيافته وحمايته حتى تبحر السفينة مع شروق الشمس لتعود سالمة الى أرض الوطن .
وعندما طلع الفجر وحان وقت الرحيل ظهر الثعبان وركعت أمامه كرمز للتعبير عن الشكر وقلت له انى سأخبر فرعون الذى سيفرح قلبه لرؤياى ولعودتى سالما لاننى قريب من قلب فرعون وعرشه . وسأخبره انك أعظم من فرعون لانك اله تتحكم فى مصير الكائنات وتعلم الغيب . سأعود محملا بهدايا فرعون مصر سأجلب لك العطور المقدسة والبخور والجلود والنسيج والبردى والذهب والاحجار الكريمة وكل ما لا يوجد بجزيرتكم من خيرات أرض مصر المقدسة .
وهنا فتح الثعبان الكبير فمه وضحك ضحكة لها صليل الاجراس وقال :
ـ أنا لست فى حاجة الى هداياك ـ أن كل شىء أقول له كن فيكون ـ ان كلمة منى تحول الاخشاب الى عطور مقدسة والصخور الى أحجار كريمة والرمال الى تبر الذهب ومحار البحر يحمل لى لآلئه وأسماكه تكسو الشواطىء بالعنبر .

وأمر بتحميل سفينتنا بمختلف الهدايا والنفائس والمحاصيل والنباتات التي لا يوجد لها مثيل بأرض مصر .. قال : احملها مني هدية لفرعون ولا تنس أن تقدم لى القرابين في معبد الهكم العظيم .

وتنتهى القصة بقول الثعبان وهو يودعهم : « لا تفكر فى العودة ثانية لانك اذا عدت فسوف لا تجدنى ولن يكون لجزيرتى أى وجود على الاطلاق وهذا هو الغيب الذى ملكت قوة الاطلاع عليه والمصير المحتوم المنقوش فى لوح القدر وكشفه لى من هو أعظم منى .

لقد سقط من بردية جزيرة الثعبان للاسف الجزء الخاص بحياة السندباد فى الجزيرة وقصة الفتاة الجميلة التى قدمها اليه الثعبان فى أول القصة وهى التى تلعب دورا هاما فى قصة السندباد البحرى العالمية وبعض قصص المغامرات المماثلة كقصة الجزيرة المسحورة فى روايات ألف ليلة وليلة ورحلات ماركو بولو وغيرها من أدب القصة العالمى .

كان أول من كشف علاقة جزيرة الثعبان بقصة السندباد البحرى الاستاذ الكبير الدكتور سليم حسن عالم الاثار المصرى الاول الذى كان أول من ترجم قصة جزيرة الثعبان من الاصل الفرعونى الى اللغة الانجليزية والعربية وصحح كثيرا من التراجم القديمة التى لم تكن دقيقة الترجمة والتفصيل .

لقد أثارت قصة جزيرة الثعبان فى السنوات الاخيرة جدلا فى كثير من الاوساط العلمية المعنية بتاريخ « قارة الاطلنتس » بعد ما كشف الاستاذ بعض صفحاتها المفقودة التى وجدت ضمن برديات متحف لننجراد وأوضح العلاقة

بينها وبين أسطورة القارة المفقودة من حيث التشـابه فى كثير من وقائعها وما ورد بها من أوصـاف مع ما ورد فى برديات كهنة هيليوبوليس ومتون أهرام المايا والاوزتيـك فى أمريكا وكتاب افلاطون « التيمابوس » ووثائق قدماء الفينيقيين حيث وصفت جميعها قارة الاطلنتس بأنه كان يطلق عليها اسم « جزيرة الثعبان » ٠

كما أن الفتاة الجميلة التى كان يحتفظ بها فى جزيرته وعادت الى مصر فى المركب ربما رمز بها الى ايزيس التى ذكرت برديات هيليوبوليس انهـا أتت الى أرض مصر مع ابنها حورس بعدما قتل « ست » اله الشر أخاه أوزوريس اله الخير ونادى بأنه أصبح الاله الاوحد الذى يتحـكم فى مصير الكائنات فانزل الله لعنته على الجزيرة فاختفت فى قاع المحيط ٠

وتنتهى أسطورة الاطلنتس بقول الكاهن « مو » لحورس واتباعه وهم يغادرون الجزيرة للتوجه الى مصر « اذا عدتم فلن تجدوا الجزيرة » وهى نفس أقوال الثعبـان لملاحى سفينة السندباد عند مغادرتهم الجزيرة فى رحلة العودة الى مصر ٠

ومرة أخرى نثبت بما لا يدع مجالا للشك أن المئـات من آداب العالم وفنونه ذات أصل فرعونى ٠ وبالتحـديد كتبها وأبدعها ذلك الرجل المصرى الجالس القرفصاء ومنذ سبعة الاف سنة ٠

ليلى الفرعونية تعترف لأبيها :
سنوحى ابن عمى عندنا !!

مجنون ليلى قيس بن الملوح الشاعر المجنون الذى راح يقول الشعر فى محبوبته فرددت البيد أشعاره وخلد الادب العالمى الحديث قصته نرى أن مصر الفرعونية القديمة قد عاصرت ورددت قصة تاريخية مماثلة بشخصياتها الواقعية التى سبقت قصة مجنون ليلى بألفى سنة • هى قصة سنوحى وتيكاهيت التى تفوقت على قصص الحب العالمية المماثلة بأسلوبها وتركيبها وأحداثها وما اجتمع لها من عناصر التكوين التى جمعت بين أدب قصص الحب والبطولة والمغامرات •

كانت قصة سنوحى وتيكاهيت من أحب القصص الى قلوب المصريين وقد وصل الينا الكثير من أجزائهـا ومن مختلف العصور الفرعونية ابتداء من الاسرة الثانية عشرة حيث دونت لأول مرة فى عهد الملك سنوسرت الاول حتى أواخر الاسرة العشرين •

وقد وجدت منسوخة فى برديات مختلف العصور وعلى الواح الاستراكا كما كانت تدرس فى المدارس وتروى فى القصص الشعبى كما كانت تغنى كثير من مقاطعها الشعرية فى حفلات السمر •

كان سنوحى شخصية حقيقية فقد كان الوزير الأول فى عهد امنمحعت الاول أول ملوك الاسرة الثانية عشرة •

ويذكر المؤرخون ان الملك مات بسبب مؤامرة دبرت

ضده قامت على أعقابها دسيسة قام بها بعض رجال القصر للمناداة بأحد أبنائه من أم غير الملكة الشرعية لتولى العرش

وكان سنوسرت ولى العهد الشرعى الذى يشارك أباه فى الحكم مشغولا فى ميدان القتال الغربى فى محاربة اللوبيين ويقال أن كبير أمناء مصر وكان على ولاء لسنوسرت ويحقد فى نفس الوقت على سنوحى الذى كان يحب الاميرة تيكاهيت ويكتب لها قصـــائد الحب التى كانت تتغنى بها منف وترددها مجتمعاتها ويغنيها المغنون فى حفلات السمر .

ولان الوزير كان يعلم بالمؤامرة أرسل للملك يطلب اليه العودة وكما وصفه سنوحى فى قصته « وعاد الصقر طائرا كالبرق،وأمكنه القضاء على المؤامرة قبل أن تنفذ » كما اتهم الوزير سنوحى بأنه كان له ضلع فى المؤامرة حتى يتخلص منه وهو ما يفسر سبب قراره عند وصول سنوسرت الاول وتوليه الحكم .

وفى قصته التى يرويها عن نفسه نراه يبتـدىء بذكر ألقابه ووظيفته فيقول انه الامير الوراثى ومدير ضـــياع الملك والسمير الوحيد المجيب اليه وكان خادما وفيا للملك والابنة الملكية لأمنمحعت المسماة نفرو فى بلدة الهرم (ختم اسوقت) .

وفى السنة الثلاثين فى اليوم التاسع من الشهر الثالث للفيضان دخل الملك أفق الاله فطار الى السماء ليتحد مع قرص الشمس ويمتزج بجسم خالقه فخيم الصـــمت على القصر وأغلق باباه العظيمان وجلس رجال القصر منكسى الرءوس على الركب . كان قلبى يتحـــرق وخارت قــواى واستولت الرعدة على جميع أعضائى فقفزت باحثا عن مكان

أختبيء فيه بعيدا عن القصر لان هناك شجارا وصراعا يدور في أرجائه •

ويصف في قصته كيف كان يتسلق أشجار الايك حتى لا يراه حراس النهار ويتسلل كالثعلب الهارب من الصياد بين عيدان القمح حتى لا يلمحه حراس الليـــل • ويروي كيف اجتاز الحدود التي حصن « جدار الامير » الذى شيده ليصد غارات البدو • ويصف أداث رحلة الهروب بقـوله « وفي ليل غاب قمره وارتفع عواء ذئابه وخرجت الزواحف والحشرات من جحورها زحفت على صدرى بين الرمال وفوق الصخور •

وعندما تنفس الصبح كنت قد وصـلت الى أرض بتني وفي جزيرة « كم أور » استلقيت على الشاطيء للاستجمام؛ لقد خنقني العطش والتهب حلقي حتى ذقت طعـم المـوت شربت الماء المر لاطفيء عطشي فزدته لهيبـا • وفي ظـلام الليل التالى سمعت خوار قطيع من الماشية ورأيت خلف كثبان الشاطيء قبيلة من قبائل البدو تشـعل نيرانهـا فذهبت اليهم فعرفني شـيخ من بينهم كان قد زار مصر وأكرمت وفادته فأعطاني ماء وطبخ لي لبنا ولحما جافا مما يحمله قبائل البدو في رحيلهم وقدمني الى أبنـاء قبيلته الذين أحسنوا معاملتي واعتبروني واحدا منهم » •

ثم تخلف سنوحي عنهم ليسير في طريق اخر غير طريق قوافل البـدو حتى لا يقع في أيادى جنود فـرعون الذين خرجوا للبحث عنه ويحكي سنوحي كيف قضى أياما طويلة كالغزال الشارد في قلب الصحراء الواسعة وكيف اشتغل في قطع الاحجار في مناجم الفيروز حتى وصـل الى أرض

« رتنو العليا » حيث قابل أميرها شيخ قبيله «عمو نتشى» بارض فلسطين .

ولما عرف انه قادم من مصر أخذ يمـدح له فى ملكهـا العظيم سنوسرت بقوله « حقا أن مصر سعيدة بملكها العظيم سنوسرت الذى نشر العدالة والسلم والرخاء فى أنحاء بلاده الفسيحة ومن بينها فلسطين التى يدين أهلهـا له بالحب والولاء » .

ولما كان قد سـمع عن سنوحى كأحد رجال قصر الملك الامناء ومن بين قواده الاشداء فقد أكرم وفادته واستبقاه عنده وفي ذلك يقـول سنوحى : وجعلنى الامير على رأس أبنائه وقال لى أمل أن تكون هنا سعيدا بيننا . ستسكن معنا ونعاملك بحب وشفقة .

وزوجنى احدى بناته وجعلنى أختار لنفسى أحسن مافى حيازته من الاراضى التى تمتد من حـدود بـلاده الى أرض ما بين النهرين فاخترت أجملها وتسمى أرض « ياء » كان فيها التين والكروم ونبيذها أكثر من مائها شهدها غزير وزيتونها كثير وحقول الشعير والقمح بسـنابله الذهبية وأشجارها محملة بكل أنواع الفاكهة وماشية يخطئها من كل نوع .

كان نصيبى عظيما وأعظم منه ما نلته من حب الناس . وقد نصبنى أمير رتنو حاكما على أحسن قبيلة من قبـائل بلاده فوضعوا لى الخبز لاكلى اليـومى والخمـر لشرابى واللحم المطبوخ والدجاج المشوى خلاف ما فى الصيد من خيرات وضعوا الالبان بكل الاشكال والحلوى وقضـيت عدة سنين وأنا سيد قومى والجميـع يدينون لى بالحب والوفاء .

ورغم اسرافه فى رسـفه لذلك النعيم ورغد العيش الذى كان يعيش فانه لم يخف حنانه ولوعتـه لمصر واله واحبابه وحبه ووفائه لحبيبته تيكاهيت التى كان يرددها فى أشعاره وقصائده تلك القصائد التى كان يغنيها ويعزفها على قيثارته ونايه . كان شباب القبائل الرحل بالصحراء يحفظونها ويرددونها وتغنوا بها فى مجـالس سمرهم وأفراحهم وقد وصـفتها احدى البرديات « كانت أرجاء الصحراء الشاسعة تردد أغانيه وأشعاره وأنغامه الشجية حتى وصل صداها الى شواطىء النيل وانتشرت فى أنحاء الوادى بأكمله فكان المصريون يتغنـون بها فى مجـالس سمرهم وأفراحهم الشعبية يتغنى بها المغنـون ويرددها العشاق لسنوات طويلة زادت عن خمسة قرون .

ويذكر بعض المؤرخين أن تلك القصائد والاغانى والملاحم التى رددتها البلاد بأكملها حتى دخلت الى مجالس القصر كانت من الاسباب الرئيسية للقرار الذى أصـدره الملك سنوسرت بالعفو عن سنوحى والسماح له بالعودة الى مصر وما ناله من تكريم وتقدير من العائلة الملكية بأكملها .

كما أصـبحت قصـته التى كتبها بنفسه من الملاحم الشعبية التى كان يرددها المنشدون والمداحون لاجيال طويلة كملاحم أبو زيد الهلالى وغيرها من الملاحم الشعبية المعروفة

أما وقائع البطولة فى قصة سنوحى كما وصفها بنفسه فهى عديدة من بينها على سبيل المثال واقعة مبـارزته مع بطل قوى من فلسطين جاء يتحدى قوته ليبارزه ويحطـم سطوته وهنا يقول سنوحى :

« جاء رجل قوى من فلسطين ليبارزنى فى معسكرى . كان بطلا منقطع النظير ، أخضع جميع قبائل فلسـطين

واقسم أن يحاربني وتآمر مع رجال قبيلته أن يأخذ ماشيتي وأملاكي غنيمة وأدعى أن رجالى فتحوا بابه واخترقوا سياجه ودبروا سرقته وسألنى الامير فقلت له أن ذلك حقد عليك لانه رأى انني رددت من سلطتك واني كثور الماشية في قطيع غريب ـ ان الثور يحب النزال ولن يعلن تقهقره خوفا من ثور ربما كان أقوى منه أو يضارعه في القوة فاذا كان قلبه مصمما على الحرب فدعه ينطلق بارادته ، وهل الاله يعلم بما قدر له ؟ أو هل يعرف هو كيف يكون المصير » .

ويتابع القصة بقوله « فى الليل شددت قوسى وفوقت سهامي وشحذت خنجرى . وعند الفجر كانت فلسطين بأكملها قد جاءت وقد أثار قبائلها فتهيأت للنزال . وهنا برز كالثور الهائج .

كان كل قلب يحترق من أجلي وكل قلب مكلوم بسببي هجم على فجأة قبل اشارة المبارزة فتفاديت سلاحه بحركة خاطفة فسقط درعه وفأسه وحزمة حرابه ومر سهمه بى طائشا فتركته ولم أقض عليه بضربة قاضية وهو تحت رحمة سلاحى وقبضتى الحديدية .. وتركته وأعطيته الفرصة ليقترب منى ويهاجمنى مرة ثانية فدفعت سهمى اليه فلصق بعنقه فصاح وهو يخور كالثور القتيل وقد انبطح على أنفهفسحبت منه سيفه وأجهزت عليه به وصحت صيحة النصر وأنا أضع قدمى على رقبته فكانا قربانا لمصر أرضى الاله .

ان ما دبره نكاية بى جعلته يحيق به ولقد فصل الاله رحمة بفرد غضب عليه وجعله يفر الى أرض أخرى ويحرم من وطنه بغير ذنب فعفا الاله عنه وأعاد الفرحة الى قلبه

ونصره على من عاداه ويعود ويقول « أيها الاله العظيم يا من أمرتني بالهروب وحميتني بالغربة كن رحيمـــا وأعـدني ثانية الى مقر الملك لأرى المكان الذى يسكن فيه قلبي وأن تدفن جثتي في الارض التي ولدت فيهـــا وخرجت منهـــا وبقرب من أحببت » .

وأرسل سنوحي الى سنوسرت وزوجتـه يســـتعطفهما ويســتأذنهما في المجيء الى مصر ، ويؤكد لسنوسرت أنه يحفظ له والعائلة كل ولاء واخلاص وانه هرب خوفا على حياته ممن تآمروا على قتله .

ويكمل سنوحي قصته فيقول انه تلقى مرســـوما ملكيا بالعفو عنه والعودة الى مصر ونشر بياناته كاملا بما فيه من توقيعات وأختام ولم يمكث في « ياء » الا يوما واحدا عاد بعده فورا الى مصر وعندما وصل الى حدود مصر صــــحبه رجال القصر الى العاصمة وجاءوا في الصباح المبكر لدعوته لزيارة الملك وكان أبناء الملك في اســـتقباله عند بوابة القصر وكان اللقاء مع فرعون والملكة وديا وصــــفه بأنه « كان احتفالا أنساه ما سرقته السنون من عمرى » ..

وعينه الملك أمينا على القصر وبين رجال حاشيته .

ويشير في نهاية القصة انه أقيم له قبر من الحجر وسط المقابر الملكية بجوار قبر الاميرة أشرف عليه كبير مهندسي العمارة بأمر الملك .

وهو ما يربط قصـــة سنوحي وتيكاهيت بقيس وليلى حيث اشتركت القصتان في نهاية واحدة مماثلة حيث عاد كل منهما ليجد حبيبته قد سبقته الى العالم الاخر .

أما قصائد سنوحي لتيكاهيت التي يعتبرها مؤرخو الادب الفرعوني من أروع ما كتب في أدب الحب وأغانيـه وقـد

جمعت بين الشعر المنظوم والمنثور فقد وصل الينا مجموعة قيمة من بردياتها اهمها برديات شستر بيتي وهاريس وبريس الموزعة على متاحف اللوفر وتورين وبرلين والمتحف البريطاني وقد ترجمت الى عدة لغات أجنبية كما قام بعض الادباء بترجمتها بالشعر والنثر للاحتفاظ بجمال ايقاعها الغنائي • ومن أمثلة تلك الصـــور الشـــعرية التى كان صنوحى يناجى بها تيكاهيت قصيدة اسمها « صــوت من بعيد » •

لاني بعيد عنك

في حلة بغير أبعاد

اصبحت كمثال فقد يديه

أو رسام فقد بصره

أو مغن فقد صوته

او قارب تحطم شراعه

أو طائر انكسر جناحه

أو حقل جف ماؤه

اصبحت كبستان جف ماء الجدول الذي يرويه

اصبحت كشجرة جفت غصونها فتساقطت أوراقها

اصبحت كقيثارة بغير أوتار

وقوس بغير سهام

اصبحت كسماء بغير نجوم

ومعبد بغير اله أو تراتيل

لاني بعيد عنك في رحلة رسمها القدر في صحراء المجهول

بزادي الامل •• الذى أحيا به الامل فى انتظار اللقاء

ومن أجمل الصور الشعرية (قصيدة حبيبتي مقبلة)

ما انا أراها اتية •• أري حبيبتي مقبلة

تتهادى كنسمة الربيع
مرفوعة الرءوس يداعب الريح ضفائرها
وتزين الثمار الحمراء خدودها وجيدها
تكاد قدماها لا تلمسان الارض
وهى تخطو كراقصات المعبد
وتتماوج ذراعاها ويداها فى دلال
كأمواج البحر فى ضوء القمر
واسمع صوتها يحمله الى النسيم من بعيد
كرنين قيثارة الحب في سكون الليل
ها أنا أرى حبيبتى مقبلة !!
فيبتهج قلبى وأمد ذراعى لاضمها الى صدرى
ويهتز قلبى فرحا وهو يتنقل من صدرى الى صدرها
احس باننى ضممت البستان باكمله
بزهوره وطيوره وفاكهته وغديره
عندما اضمها الى صدرى
احس باننى ضممت أرض بونت بأكملها
بعطورها وبخورها وزهورها وزيوتها السحرية
وعندما أضمها الى صدرى
أشعر أنى سكرت وأنا لم أشرب الخمر
أشعر انى أعيش في عالم الاحلام وانا لم انم
ان حبها يملأ قلبى قوة
ويحيطني بتمائم الحفظ
وهى تغنى لى تعاويذ الماء
لتحفظ حبنا من غير الايام
وفى بردية أخرى من برديات شستر بيتى قصيدة أخرى تنسب الى سنوحى وجدت فى مقبرة أحد المغنين فى طيبة .
اذكرى حبنا وانت تجلسين تحت شجرة الجميز

لقد تعاهدنا في ظلها عند أول لقاء
أن يدوم حبنا الى الابد
مهما حاولت عواصف الحسد أن تعبث بغصـونها أو تقتلعها
لقد زرعناها معا ونحن أطفال
ان حبنا ينمو مع نموها ويكبر معها
ويزداد قوة بازدياد قوتها
استمعي الى حفيف اوراقها فهي تهمس لك بالحان قلبي
انظري الى غصونها فهي تمدها لتصد عن حبنا عيـون الشر
انظري الى ثمارها فهي تحمل لون خديك وحلاوة شفتيك
اذكريني وانت ترقدين في احضان ظلها الكبير
الذي ظلل حبنا وكبر معه
سأعود عندما تتفتح زهور الحديقة وتغرد طيورها
سأعود من الارض البعيدة مع الطيور المهاجرة
التي تلقي بنفسها في احضـان البحيرة لتنسى تعب الرحلة
سأعود وسيكون صدرك هو بحيرتي التي أنسى فيها تعب الرحلة
ومن قصـائده الغنـائية التي تعتبر نموذجا للادب المكشوف عند الفراعنة قصيدته المشهورة وعنوانها القديم « ليغني القلب وتشدو الروح » .
حبيبتي .. اذا قبلتها وفمها مفتوح .. أحسست بطعم الرحيق المقدس وحلاوة عسل النحل
اذا نظرت في عينيها الواسعتين المفتوحتين
رأيت في سوادهما نور قلبها المضيء

وكشفت عما يخفيه من سر لا ياتمن
أحدا غيرى ليبوح به اليه
ليتنى .. كنت جاريتها التى تغسل لها قدميها
فلا يلمسها غيرى ولا تريحهما الا على يدى
ليتنى .. كنت جاريتها التى تدلك جسمها
حتى لا يرى جسمها العارى أو يلمسه أحد غيرى
ليتنى .. كنت جاريتها التى تغسل ملابسها
فأسعد برائحة طيب جسمها العالق بها
ليتنى .. كنت جاريتها التى تقوم بزينة وجهها
حتى أتحسس بأناملى كل جزء فيه وأقبله
ليتنى .. أكون العقد الذى يطوق عنقها
فلا يطوقه ويداعبه الا ذراعاى
ليتنى .. أكون الخواتم التى تزين أصابعها
فاحتفظ باصابعها بين أصابعى طول الوقت
ليتنى .. أكون الاساور التى تزين معصميها
حتى احتفظ بهما بين يدى طول الوقت
ليتنى .. اكون القلادة والتمائم التى تزين صدرها
لارقد على صدرها واستمع الى دقات قلبها طول الوقت
ليتنى .. اكون الخلخال الذى يزين قدميها
حتى لا يلمسها أو يقبض عليها أحد سواى
ليتنى .. أكون القرط الذى يزين اذنيها
لاهمس فى أذنها ما يسعد لسماعه قلبها
ليتنى أكون البستانى الذى يقطف الزهور التى تزين حجرتها
لاحمل كل زهرة منها رسالة حب وقبلة تنقلها الى فمها كلما لامستها

ليتني أكون زهرة اللوتس التي تزين ضفائر شعرها
حتى لا تلمسه أو تعبث به الا أناملي
ليتني أكون عقد الورود والياسمين الذي يزين
صدرها ويداعب خدها ويلمس شفتيها
ويحمي نهديها .. ويبتسم للقائها كلما ..
نظرت اليها وتتجدد كل يوم لتأكيد تجديد حبه الذي
تتفتح مع كل صباح

حكايــة الشاطــر حســن وســـت الحســــن !!

تمضى السنوات .. ونكبر وتظل ســـنوات الطفــولة ببراءتها وصدقها وأحلامها أروع ما نحمله معنا !

وتظل حكاية الشاطر حسن حلم كل « ولد » .. وتظل حكاية ست الحسن حلم كل « بنت » . ونعيش بخيالنـا مع حصان الشاطر حسن الذى يمتطيه حسن وأمامه ست الحسن ..

ولا أحد يدرى أن هذه الحواديت أيضا سـبق وأبدعها وببراعة كاتب مصرى منذ ٧ آلاف سنة ..

من قصص الدولة الحديثة المحببة الى قلـوب المصريين والتى تتشـــابه الى حد بعيد مع قصص ألف ليلة وليلــة ومغامرات الشاطر حسن المعروفة قصة « الاميرة الجميلة »

وكانت أكثر القصص تداولا وانتشارا لعدة أجيــال . وتبدأ القصة بتاجر وزوجته تقدمت بهما السن ـ رزقهما الاله كل شيء الا ابنا يرثهما ويصــلى على « قبرهما » وهو ما يعتبرانه أرفع نعم الرضا .

وتستجيب المعبودة ايزيس لدعواتهما فيرزقان بطفـل جميل يطلقان عليه اسم « هبة السماء » بعـد أن كانا قد فقدا الامل فى الانجاب تماما .

ويحملان الطفل الى المعبد ليباركه الكاهن الاكبر ويقدما الشكر للاله . عند خروجهما تقابلهما عرافة على باب المعبد فتقرأ طالع الطفل وتتنبأ بمصيره بقولها ! « ان نهـــايته سيلقاها بكلب أو ثعبان أو تمساح » .

وحتى يهرب من هذا المصير ارسله أبوه ليعيش فى بيت عمه فى يوم من الايام بينما كان « هبة السماء » يطل من غرفة البيت المطلة على الصحراء شاهد صيادا يسير يتبعه كلبه الامين والصديق الوفى للصياد . فلما سأله عن ذلك المخلوق .

قال الصياد انه الصديق الوفى والرفيق المخلص الذى يحميه ، وألح على والديه أن يحققا أمنية تسعد قلبه باقتناء كلب يكون صديقا يؤنسه ويحميه .. فأحضرا له جروا صغيرا قام بتربيته .

مرت الايام ويكبر الابن ويصبح شابا قويا وجميلا وكبر معه كلبه الذى أصبح صديقه المخلص الذى لا يفارق ظله ويسهر على حمايته بخلاف ما تنبأت به العرافة . وطلب من أبويه أن يخرج من سجنه ويقوم برحلة يواجه بها الحياة ويمتع قلبه بمباهجها وعطاءاتها وهو يقول :

« سأفعل ما يرضى قلبى .. ويفعل الاله ما يرضى قلبه وخير لى أن أعيش وأموت مرة واحدة .. وهو القدر والمصير !! من أن أموت عدة مرات فى انتظاره بغير أن أعيش لامتع قلبى .. وأحيا حياتى » .

وهكذا يخرج بطل القصة « هبة السماء » فى رحلة بعيدة الى « نهارينا » ليس له رفيق سوى كلبه الامين وأحلامه الواسعة . ويحكم نهارينا أمير قاسى القلب له ابنة وحيدة ــ اية فى الحسن والجمال وكما هو الحال فى قصص ألف ليلة وليلة وحكايات « الشاطر حسن وست الحسن » فالأمير يحجب ابنته فى قلعة أو برج حصين ــ تصفه القصة بأن له سبعين نافذة يرتفع كل منها عن الارض

سبعين ذراعا ، ويحيط بالبرج بركة عميقة ملأى بالحيات والتماسيح .

ويشترط أمير نهارينا على من يريد أن يتقدم لطلب يد ابنته أن يكون من العائلة المالكة ، وأن يتسلق حوائط البرج ليصل الى نافذة « ست الحسن » بعد أن يصارع التماسيح والحيات قبل أن يصل الى أسفل حائط البرج نفسه .

وتتتابع تفاصيل القصة ومغامراتها المثيرة بأن يتعرف بطل القصة على وصيفة الاميرة وكاتمة أسرارها ويرشيها ويغريها بأنه سيأخذها الى حبيبها الفارس الذى حرمت من لقائه بعدما أودعه الامير فى سجن بعيد فى الصحراء .

وتدله الوصيفة على سرداب سرى يصل الى القلعة فى مأمن من بركة التماسيح والحيات . ويخبر الوصيفة أثناء الحديث انه من أبناء ملك مصر وأنه هرب من مصر ومن القصر خوفا من زوجة أبيه التى كانت تدبر مؤامرة لقتله والتخلص منه ليرث ابنها العرش .

ينجح بطل القصة فى الوصول الى نافذة الاميرة (وقد سقط من البردية الطريقة التى توصل بها لتسلق حائط البرج والوصول الى نافذة الاميرة على ارتفاع ٧٠ ذراعا) .

وما تكاد الاميرة الجميلة « ست الحسن » تشاهد فارس أحلامها حتى تقع فى حبه .. كما يقع هو فى حبها من أول نظرة ـ عندما سحره جمالها الاسطورى . ولكن الامير عندما يعلم بقصة غرامها يرفض أن يزوجها منه عندما بلغه عن حقيقته وقصته المختلقة بأنه من أبناء فرعون مصر فيأمر بالقبض عليه والقائه فى بركة التماسيح .

هنا تهدد الاميرة الجميلة بأنهم لو مسوا حبيبها بسوء

فستلقى بنفسها من نافذة البرج لتلحق به ٠٠ فيتراجع الاب تحت ضـــغط أم الاميرة أيضا ويوافقا على طلبهـــا وتتزوج البطل التى تطلق عليه القصـــة الفرعونية اسم « الامير الشاب الجميل » ٠

ويقص الامير الشاب على حبيبته نبوءة المصير ونهـايته المكتوبة على يد كلب أو أفعى أو تمساح ٠ وهنـا ترتعب الاميرة وتطلب منه أن يقتل كلبـــه ٠ ولكنـه يرفض أن يضحى بصديقه الوحيد الذى رافقه فى رحلته الشـــاقة القاسية حتى وصل اليها سالما وتحققت أحلامهما معا « هو وهى » ٠

قص عليها كيف كان كلبه الامين لا ينام الليل ليحرسه فى نومه فيمنع عنه غدر البدو ولصوص الصـحراء ٠ كان يمنع أى كائن يحاول الاقتراب منه سواء من الحيوانات أو الزواحف أو الحشرات ٠٠ كان يصيد له الطيور والارانب التى يتغذى عليها ويدله على آبار الماء ليروى ظمـأه ـ قال أن الكلب أصبح الان خادمها الامين « يحبهـا لانها أحبت سيده » وهذا وفاء لن تجده فى قلوب البشر ٠

وهنا يرق قلبها عندما تجد الكلب يرقد تحت قدميهـا ولا يدرى ما يدور حول مصيره ٠ فتعتذر له عما بدر منها وتقول له ٠

ـ أن حبها له وخوفها عليــه من أن يكون الكلب وهو أخلص صديق أمين سيكون الأداة فى يد المصير ، كما كان أبوها وهو أحب الناس اليها سيكون السبب فى نهايتهـا ٠٠ وأداة فى يد المصير ٠

وتنتقل القصة فجأة الى ساحر عملاق يعيش فى كهف بالقرب من طريق القصر يشاهدان عنده تمســاحا كبيرا

مقيدا بالحبال ويقول لهما لا تخافا لقد قيدته بحبال سحرية حتى لا يؤذيكما أو يعترض طريقكما ٠

وتنتقل القصة مرة أخرى لفقد بعض أجزائها ـ الى الامير الشاب ٠

وتأتي الاميرة وتقبل جبهته وهي تخشى أن توقظه ، وتعود وهي تحمل اناء مملوءا باللبن وتضعه بجواره فيجذب اللبن ثعبانا ضخما يخرج من بين الاعشاب فيشرب اللبن الموجود بالاناء حتى يمتلىء وينتفخ ولا يقوى على الحركة فينقلب على ظهره فتظهر الاميرة من خلف الشجرة ـ وكانت تسهر على حراسة حبيبها ـ وتستل خنجرا من حزامها وتشق به بطن الثعبان ـ ويستيقظ الامير وهو يقول لها ـ أنت هدية اله الخير لى ٠٠ فترد عليه « وقد أرسلني فى الوقت المناسب لارد مخالب اله الشر الثلاثة عنك » ٠

وتنتقل القصة مرة أخرى بعد فقد جزء كبير من بردياتها ٠٠ حيث يخرج الامير الشاب فى رحلة للصيد ومعه كلبه الامين ٠٠ ليخوض احدى برك الصيد كما تعود أن يتبع كلبه الامين الذى يدله على المسالك الامنة وأماكن الطيور فاذا به يفاجأ بتمساح ضخم يخرج من وسط عيدان البردى ليقبض عليه بين فكيه ويأخذه الى كهف الساحر العملاق ويقول له « أنا مصيرك الذى كان يتبعك » وقد رأيتني مقيدا لان أجلك لم يكن قد حان ٠٠ ويهرب الكلب

ويجرى مسرعا الى الاميرة .. فتبكى عندما تراه يعـــود وحيدا .

وهكذا تنتهى القصة التى فقدت بقيتها أو خاتمتها التى قد تكون موجودة ضـــمن مخلفات البرديات ومقتنيـــات المتاحف العالمية الى أن يحين الوقت لترى النـــور وتلقى ضوءا جديدا على استكمال قصة من أدب المغامرات فى الادب المصرى القديم ..

سندريلا .. الحلم المستحيل !!

تعتبر قصة رادوبى الجميلة أو سندريللا المصرية نموذجا لادب القصة فى الدولة الحديثة وهى ضمن برديات شستر بيتى بالمتحف البريطانى وترجمت أكثر من مرة لعدة لغات كما وجدت لها أكثر من نسخة يرجع بعضها الى العصر المتأخر اختلفت في بعض تفاصيلها ولكنها اشتركت في المضمون العام •

تدور وقائع القصة فى مدينة منف حيث كان يعيش تاجر ثرى « سنوفر » فى قصره الفخم المطل على شاطىء النيل مع زوجته « تننت » وابنته الطفلة « رادوبى » ذات الجمال الملائكي الذى ورثته عن أمها وكانت أجنحة السعادة ترفرف على العائلة الصغيرة • وكان التاجر لا يبخل بشىء لاسعاد زوجته المحبوبة وابنته ذات « الوجه الملائكى » •

تبدأ أحداث القصة عندما تصاب الام بمرض خطير وتحس بدنو أجلها فتنادى ابنتها رادوبى وتجلسها بجوارها على الفراش وهى تقول ابنتى الصغيرة لقد دعتنى الاله لاعد نفسى للرحيل الى العالم الاخر حيث سأكون فى انتظاركم لنلتقي بعد حين ولن تمهلنى الايام حتى أرى ملاكى الصغير أجمل عرائس منف وأنت تزفين الى قصر فارس أحلامك ولن تتخلى عنك الالهة حتى تتحقق أمنيتى ولما كان أباك لا يزال فى عنفوان قوته وشبابه فقد أنبأنى احساسي الذى لا يخيب •

ان أباك سوف يتزوج من امرأة أخرى تحل محلي فى البيت •• ليكون له وريث •• سوف يكون لك اخوات من

امرأة أبيك وسيكون جمالك مصـــدر غيرتهن وحسدهن وحدهن عليك • سوف تتعرضين للحقد والاضطهاد وليس عليك الا الصبر والايمان بالاله وهو وحده الذى سيحميك

وتنهدت الام وتناولت من تحت وسادتها صـندوقا من خشب السندل المطعم بالذهب والاحجار الكـريمة وقالت لابنتها احتفظى بهذا الصندوق فى مكان أمين فهو صندوق مجوهرات أمك التى ورثتها عن عائلتها واجدادها ومن بينها قلادة حتحور الجميلة التى لا تقدر بثمن لتحفظ لها جمالها وتحميها من العين والغدر وطلبت منها أن تحتفظ بهـا ولا تغير أى شيء منها لاحد ولا تضع التميمة على صـدرها الا يوم تزف الى عريسها فى معبد حتحور الهة الجمال •

ثم قدمت لها صندوقا ثانيا أخرجته من تحت وسادتها وهو مصنوع من الخشب الابنوس المطعم بالفضة ثم قالت لها وهذا الصندوق يا ابنتى به حذاء نفيس لا يوجـد له مثيل فى البلاد وهو مصنوع من جلد الغزال الذهبى اللون ومطرز بخيوط الذهب والاحجار الكريمة ـ ليست قيمته فى جماله فحسب بل ان له ميزة أخرى وهى انه لن يتسع لقدم فتاة سواك كما انه سيكون مصدر حظ عظيم لك فى مستقبلك حافظى عليه وضـعيه فى مكان أمين لا تراه عين ولا تمتد اليه يد سوف ترتدين الحذاء عندما يحين الاوان الذى تحدده لك الالهة •

تنهدت الام بعد أن طبعت قبلة عميقة على جبين طفلتها ذات الوجه الملائكى • وصدقت النبوءة وصح ما قالته الام فقد تزوج الاب من امرأة أخرى وأنجب منها ابنتين كانتا أقل من رادوبى جمالا وخلقا •

تمر الايام وينشـــغل الاب عن زوجته وبنـاته وتكثر

مكائد زوجة الاب ومحاولاتها المستمرة للوقيعة بين الاب وابنته اليتيمة رادوبي تغيرت حالة الاب وترك ابنته فريسة لزوجته التي بدأت تعاملها كخادمة في البيت ووصيفة لابنتيها ·

وأصبح كساؤها هو ملابس اختيها القديمة ولا تتناول طعامها الا في المطبخ · وكانوا يرددون لضيوفهن وزوارهن أنها مجرد خادمة البيت وليست اختهن ·

وتمر الايام وتكتشف زوجة الاب وهي تفتش خزانة ملابس رادوبي صندوق مجوهرات أمها فأخذته واخفته عندها ثم ذهبت به الى كبير الصاغة واستبدلته بمصاغ آخر لابنتيها حتى لا يقال ان المصاغ الذى تتزينان به هو نفس المصاغ المسروق ·

ولما اكتشفت رادوبي ضياع صندوق المصاغ خشيت على الصندوق الآخر وكانت تخفيه في مكان آخر من نفس الغرفة فأخذته في الليل عندما نام الجميع وذهبت به الى شجرة الورد التي تطل على بركة السباحة · وهي الشجرة التي زرعتها لها أمها وهي طفلة لتنمو معها وتلعب في ظلها ـ وحفرت حفرة في ظل الشجرة أخفت فيها الصندوق كما قالت لها أمها ـ في مكان لا تراه عين ولا تصل اليه يد ·

تمر الايام والسنين وحياة المسكينة رادوبي تسير من سيء الى أسوأ بينما سار جمالها وأنوثتها في نضوج مستمر تحسده عليها اخواتها ويحس كل من يراها انها سيدة البيت وهن وصيفات لها ·

وتنتقل القصة عندما تستعد البلاد لاعياد الربيع ويعلن الامير ابن فرعون انه سيختار عروسا ينتقيها من بين فتيات

منف الجميلات وحدد أحد أيام العيد ليقيم حفلا فى حدائق قصره وفي اليوم المحدد استعدت الفتيات من جميع أنحاء المدينة • كما أرسلت كثير من كبريات العائلات فى أنحـاء البلاد بناتها لتجربة حظهن خاصة وان الدعوة كانت مفتوحة لجميع الجميلات •

كان يوما مشهودا لم تر البلاد له مثيل من قبـل وفى ذلك اليوم تهيأت أختـا رادوبى وتفننت الام فى زينتهـن وألبستهن الثياب وأجمل المصاغ ولم تفكر رادوبى المسكينة فى طلب مصاحبتهن حتى كوصيفة حيث انها لم تكن تملك ما يمكنها أن ترتديه خارج المنزل أو حتى فى داخلـه اذا قام أحد بزيارتهم •

لم تكتف الام وبناتها بترك رادوبى وحيـدة فى القصر لا يؤنسها غير دموعها بل أغلقن عليها أبواب القصر ومنافذه حتى لا يتركن لها مجالا للخروج أو الهـروب • وعنـدما وجدت المسكينة نفسها وحيدة فى القصر أحست برغبـة فى الخروج الى الحديقة للتمتع بشمس الربيع ونسـمته وزهور شجرة الورد الحبيبة • وما أن وصلت الى شجرة الورد حتى أسرعت فى لهفة وأخرجت الصـندوق لتتأمل الحذاء الجميل بداخله الذى أخفته وهى طفلة ثم اجتاحتها رغبة عارمة فى تجربته وارتدائه بعد أن أصبحت شـابة كاملة الانوثة •

نظرت الى قدميها فهالها قذارتهما من طـول الاهمـال وحرمانها من الاستحمام فى البركة التى بنيت خصيصا لها عندما كانت وحيدة أبويها المدللة فخافت على الحذاء الجميل من الاتساخ فوضعته على حافة البركة وخلعت ملابسـها ونزلت لتستحم فى غيابهم وهى مطمئنة انهم لن يعـودوا

قبل منتصف الليل عندما ينتهي الحفل ، واذا بها تفاجئ وهي في نشوتها وقد فقدت كل احساس بما حولها بأن طيور الحديقة قد توقفت عن التغريد وهربت لتختفي بين الاغصان فقد شاهدت نسرا ضخما يرفرف بجناحيه محلقا فوق الحديقة باحثا عن فريسة ينقض عليها ويتخذها طعاما له ٠

وفجأة يلمح النسر الحذاء الذهبي المرصع بالالىء فظنه فريسة طيبة فانقض في لمح البصر ليخطف أحد فردتي الحذاء الجميل ويحملها بين مخالبه ويحلق بعيدا في الفضاء حتى يمر فوق مكان المهرجان فتفزعه دقات الطبول والدفوف وصوت الموسيقى فيسقط الحذاء من بين مخالبه ليستقر بين يدى الامير الشاب وهو جالس فوق المنصة فاتسعت عيناه من المفاجأة المذهلة واذا بالامير يقلب الحذاء بين يديه ويتأمل رقة منظره وجماله والوانه وصياغة الاحجار الكريمة التي ترصعه وأخذ يتخيل الصورة الرائعة لصاحبة الحذاء وايقن أن الاقدار قد حسمت له الامر وأراحته من الاختيار ٠

وردد الامير قوله « ان صاحبة هذا الحذاء الرائع الذى ارسلته لى السماء لابد أن صاحبته رائعة الجمال وفوق مستوى البشر » ثم غادر المنصة وطلب من الجميع أن يعودوا الى بيوتهم ٠ والتفت الى حرسه وقال لهم لابد من العثور على صاحبة هذا الحذاء اينما كانت لابد أن تحضروا الى أى فتاة تتسع قدمها لذلك الحذاء وتدلنا على الفردة الاخرى ٠

تمر الايام والامير يخرج كل ليلة ومعه فردة الحذاء لزيارة القصور والبيوت التى يدله اعوانه على من بها ممن تحمل نفس المواصفات التى يحددها الى أن أرسلت زوجة

ستوفر احد أعوانها لدعوة الامير لتعرض عليه ابنتيها ·

يصـــل الامير الى القصر فتستقبله الام وابنتـاها فى أجمل زينة وأحسن الازياء وتحاول كل من البنتين أن تقيس الحذاء فلا تفلحان ويلمح الامير رادوبى الجميلة وهى تقف خلف نافذة الحديقة تسترق النظر الى ما يدور فى القاعة بملابسها المهلهلة وقد أخذ بجمالها الطبيعى فيسـأل عنها ترد الام عليه بانها ابنة البستانى ولا يسمح لها بدخـول القصر فخرج الى الحديقة وجذبها من يدها الى داخل المجلس وأمرها أن تقيس الحذاء فاذا بالحذاء يلائم قدمها الجميل ولما اعترضت زوجة الأب على دخولها المجلس وتجربة الحذاء الجميل بقدميها القذرتين خرجت رادوبى الى الحديقة لتعود بالصندوق الابنوس وبه الفردة الاخرى وقصت عليهم قصة الحذاء الذى خطفه النسر كما انه البرهان الوحيد بأنهـا سيدة القصر الذى تعمل به خادمة لزوجة أبيها وهو ملك لأمها ·

وأمر الامير حراسه باحضار عربته الملكية واجلس فيها رادوبى الجميلة الى جواره كما هى بملابســها القـديمة وحذائها السحرى ليقدمهــا الى فرعون مصر والملكـة الام ويشرح لهم قصتها الحقيقية فباركا زواجها وطلب الملك من كبير صياغ القصر أن يقدم لها أجمل واثمــن الجـــواهر والمصاغ الموجود فى حيازته ·

وأقيمت الافراح فى اليوم التالى وظهرت رادوبى بوجهها الملائكى وجمالها الاخاذ وهى تقف بجانب الامير فى أجمل زينة وأرقى زى تزين قدميها الجميلتين بحذائها الساحر ·

وتحدث المفاجأة عندما يقدم لها الامير هدية الملـك فاذا به صندوق مصاغها الذى تتوسطه تميمة حتحور المقدسة

ويضع الامير التميمة فوق صدرها فاذا به يفاجأ وهى تبحث بين جواهر الصندوق عن تميمة أخرى تعتبر توأما مكملا لتميمتها لتضعها على صدره وتقول له أنها هدية أمهما لشريك حياتها لتحمى الالهة حبهما وتحميهما من عيون الغدر ٠

ويبحث الامير عن صائغ القصر ليعلم منه مصدر صندوق المصاغ الذى فقد من رادوبى وهى طفلة ولما عرف الصندوق وسرقته بمعرفة زوجة الاب أمر بالقبض على الام وابنتيها ومصادرة القصر وأموالهم لردها لرادوبى صاحبة الحق فى كل شىء ولكن رادوبى تطلب من الامير الذى وعدها الا يرفض لها طلبا أن تصفح عن زوجة الاب واختيها « لان قلبها كما علمتها أمها لا يتسع للحقد والبغضاء » ٠

● سندريللا عصر الاهرامات :

صورة أخرى لحكاية سندريللا تسبق الصورة الاولى بعدة قرون نسبها المؤرخون الى الملك منكاورع ابن الملك خوفو وقد وردت القصة مع اختلاف فى بعض تفاصيلها فى كتاب هيرودوت عن تاريخ مصر وغيره من كتاب الاغريق القدماء فى عصور متتالية ونقلها بروكسبانك الى الانجليزية فى كتابه « قصص الفراعنة عبر العصور » ٠

تبدأ حوادث القصة فى مدينة « نقراطيس » القريبة من مدينة سايس فى شمال الدلتا حيث كانت تعيش أجمل فتيات المدينة وتدعى « دوريس » فى قصرها المطل على النيل ـ وتخرج ذات صباح لتتمتع بالاستحمام فى بركة اللوتس التى تتوسط حديقة القصر تحت أشعة شمس الربيع الدافئة ٠ وبينما كانت تتهادى على صفحة الماء بين زهور اللوتس كالبجعة الحالمة وقد خلعت حذاءها المطرز بالذهب والمزين بالاحجار الكريمة وتركته على حافة

البحيرة كان هناك نسر عملاق يرفرف بجناحيه وهو يحلق في سماء الحديقة • فلفت نظره بريق حذائها الخاطف الذى تزينه الاحجار الكريمة بالوانها البراقة • فانقض بسرعة البرق على الحذاء وخطف فردة حملها بين مخالبه القوية وطار بها يسابق الريح في اتجاه الجنوب حتى وصل الى مدينة منف • وأثناء رحلته سقط الحذاء الجميل بين يدي الملك وهو جالس في فناء القصر يتصدر منصة القضاء •

ورفع الملك الشاب فردة الحذاء بين يديه فبهره منظره فأخذ يدقق في جمال شكله وبديع تكوينه وسرح بخياله في جمال ورقة قدمى صاحبته والجمال الكامل الساحر الذى تحمله ساقى تلك القدمين وسرعان ما أمر بارسال رسله وخاصة حرسه للبحث عن صاحبة الحذاء واحضارها اليه ووعدهم بجوائز سخية لمن يأتى بها اليه •

وسار موكب الحاشية ليجوب البلاد طولا وعرضا فى اتجاه الشمال الذى حلق منه النسر في طيرانه حيث توجد دلتا نهر النيل المقدس بفروعه السبعة ومدنها الجميلة التى تتوسد شواطئه •

وكلما دخلوا مدينة من مدن الدلتا اذاعوا الرسالة الملكية وأعلنوا عن الجائزة الكبيرة التى سينالها كل من يرشد عن صاحبة الحذاء بجانب الهدية المقدمة القيمة والتقدير السامى الذى ستناله صاحبة الحذاء الساحر الذى ستخطو به الى قلب الملك وتشاركه حياته لتصبح ملكة على مصر •

وفى كل مدينة كان يتوافد على الحاشية عدد كبير من النساء والفتيات الجميلات تدعى كل منهن انها صاحبة

الحذاء بعدما سمعت عن أوصافه وأتت بعض الفتيات تحمر كل منهن فرد حذاء مماثلة للاوصاف التى سـمعت عنها مدعية كل منهن انها الفردة الاخرى من الحذاء التى تحتفظ بها .

كان ركب الحاشية يمكث فى كل مدينة يزورونها ثلاثة أيام ينتقل بعدها الى مدينة أخرى . وفى اخر المطاف يصل الركب الى مدينة نقراطيس فى أقصى الشـمال من دلتا النيل حيث يعلن الرسالة الملكية وزادوا من قيمة الجائزة والعطايا حتى لا يلازمهم الفشل ويعودوا بخفى حنين بدلا من العودة بالحذاء السحرى وصاحبته . ومر يومان لم يتقدم أحد من فتيات المدينة وبدأ اليأس يدب فى نفوسهم لفشلهم فى تحقيق رغبة فرعون الشاب وأمنيته .

وفى اليوم الثـالث بينما كان وزير الملك وحاشـيته يشدون الرحال استعدادا للرحيل ومغـادرة المدينـة اذا بعجوز شمطاء مهلهلة الثياب منحنية الظهر تتوكأ على عكاز تطلب مقابلة رسـول الملك فيتصدى لها الحـراس وهم يتضاحكون ويسخرون منها ويقـول أحدهم ـ هل تريد سيدتى الجميلة أيضا قياس الحذاء ؟

فترد عليهم وهى تصرخ بأعلى صوتها نعم سأقوم بقياس الحذاء وسأنال الجائزة الكبيرة التى وضـعها الملك لأن قدمى هى قدم السعد التى تبحثون عنها والتى سترشدكم الى مكان الحذاء وصاحبة الحذاء .

ويدور حوار بين العرافة العجـوز والوزير تقـول فى نهايته ما عليكم الا أن تسلمونى المكافأة لاقدمهـا قربانا للالهه وأنا أدلكم على صاحبة الحذاء وأرشدكم عن مكانها .

فيأمر الوزير باعطائها القلادة الذهبية المرصعة بالجواهر

والتى أمر الملك باهدائها لمن ترشدهم الى صاحبة الحذاء فتضع القلادة حول عنقها وتقول له ـ ان هدية الالهة لفرعون الشاب اسمها دوريس ـ فيسألها عن مكانها فتقول له ـ هناك فى أقصى جنوب المدينة ستجدها فى قصرها الابيض المطل على النيل وسيدلك عليه النسر العملاق الذى حمل فردة الحذاء الى منف وستجده محلقا فى سماء الحديقة ٠

وعندما بلغا مكان القصر طرق الرسول بابه وقال للحارس انهما يريدان مقابلة سيدة القصر ويرد عليه الحارس بأن سيدة القصر لا تستقبل أى زائر بغير دعوة وميعاد ٠ فأخبره أن الزائر هو وزير فرعون وانه يحمل رسالة ملكية خاصة لسيدته فما أن سمع الحارس اسم فرعون مصر حتى خر ساجدا ثم هرول مسرعا لابلاغ الخبر وعاد بعد برهة ليفسح لهما الطريق الى قاعة الاستقبال بالقصر التى كانت تتصدرها دوريس الجميلة وهى فى كامل زينتها ٠

وبعدها تلى مضمون الرسالة ردت عليه بقولها :

لماذا أرسلكم فرعون من منف الى نقراطيس لتوصيل تلك الرسالة لى بالذات ؟ فرد الوزير بأن الرسالة المذكورة هى مرسوم عام وليست رسالة خاصة أمر جلالة الملك بأختيار مائة ألف من أجمل جميلات مصر يعرضه عليهن لانه يخص واحدة فقط من بينهن وقد انتهت مهمتنا بالامس باتمام العدد ولم ننجح فى مهمتنا بالوصول الى صاحبة النصيب لتسليمها الرسالة الاخرى الخاصة لها ٠

وعندما قررنا العودة فى الصباح أوقفتنا حتحور لتدلنا على اسم صاحبة الرسالة التى نحملها ومكان اقامتها ٠ وهنا

قال الوزير أما الرسالة الثانية فها هي وأخرج الحذاء البراق الذى كان يخفيه تحت طيات وشاحه وهو يقول :
ان كل ما أرجوه من سيدتى الجميلة أن تجرب وضع قدمها الجميلة فى فردة الحذاء حتى تتأكد من أن رسالة فرعون خاصة بها .
وهنا تقدمت وصيفة درويس الجميلة بصندوق مزخرف من خشب الابنوس المطعم بالذهب والفضة وقدمته للوزير وهى تقول ـ وهذا هو ردى على رسالة فرعون العظيم . ويفتح الوزير الصندوق فتعقد المفاجأة لسانه عندما يجد بالصندوق الفردة الاخرى لنفس الحذاء التى يبحثون عنها
وتختتم القصة بالنهاية السعيدة حيث تغادر دوريس الجميلة نقراطيس فى اليوم الثالث بعد أن سبقتها أخبارها الى منف .
وهكذا يتحقق قول العرافة العجوز « بأن الحذاء السحرى سيخطو بقدميها الى قلب فرعون وأعتاب العرش » .
المهم لقد كانت قصص سندريللا الفرعونية موضع تحليل وتعليق كثير من نقاد الادب ومؤرخي تاريخ مصر خاصة وأن هيرودوت قد سجلها على انها من الوقائع التاريخية لتاريخ عصر الاهرامات ونسبها للملك منكاورع بالذات صاحب الهرم الثالث . بل قد أضاف الى ذلك أن دوريس أو رادوبيس قد ساهمت بأموالها الخاصة فى بناء الهرم وتكملته بعد موته مما دعا بعض المؤرخين الى الاعتقاد بأن رادوبيس هى الملكة نيتو كريس أخته أو زوجته التى تولت العرش بعده وأكملت بناء هرمه لقد جانب هيرودوت الصواب بسرد تلك القصة ووقائعها التاريخية خاصة وأن

شخصـــياتها والاماكن التى دارت فيها أحداثها حقيقيـة وواقعية • فمدينة نقراطيس من المدن المصرية المعــروفة والتى أزدهرت فى عهد الاسرة الثانية والعشرين وكانت من أهم المدن التجارية التى يتقابل فيها تجـــار بلاد البحـر الابيض •

تلك المدينة لم تظهر الى حيز الوجـود الا فى القـرن السابع قبل الميلاد أى بعد عهد منقرع بألفى سنة •

واشتهرت نقراطيس بجانب شهرتها كمركز تجـــارى بأنها كانت مركزا من مراكز اللهو واشـــتهرت بغانياتهـا الاغريقيات اللاتى وصفهن كثير من الكتـــاب والمؤرخين بأنهن كن على درجة كبيرة من الجمال ومن أشهر غانيـات نقراطيس كما وصـــــفهن مؤرخو الاغريق « رادوبيس ودوريس وارخيديكى » • وقد ذكر فى تاريخ الاغريق فى مصر أن رادوبيس الجميلـــة أحضرها الى مصر كانثـوس الســـامورى وأتى بها الى نقراطيس ليتكسب من ورائها فأعتقها أخو الشاعرة سافو وأصـبحت بعـدها من أكبر غانيات مصر وانها جمعت أموالا طائلة ووقع فى غرامها أحد أمراء البيت المالك • وقد حاول بعض الكتاب تصحيح قصة هيرودوت بأنها وقعت فعلا بين الملك بســـماتيك الثـانى والغانية رادوبيس وهو تحليل أقرب الى الصواب ••

ومهما كانت حقيقة القصة فمما لا شك فيه أن الكاتب المصرى القديم أمكنه أن يشغل المؤرخين والكتـاب والادباء بواسع خياله الرائع لآلاف السنين ويقدم لهم مادة خصبة لينسجوا على منوالها خيوط أدبهم المعاصر على مر السنين •

المعقـــول والــلا معقـــول
فى حكاية الزوجة الخائنة !!

أشتهر أدب الدولة الحديثة فى أعقاب تحرير البلاد من عهد الهكسوس بظهور نوع جديد من الادب الذى يجمع بين الواقع والخيال أو المعقول واللا معقول مع اللجوء الى التعبير الرمزى الذى يشوبه الغموض ·

كما ينتقل بالقصة الى طابع الاساطير وخاصـــة ما كان يقصد به تسجيل قصص فضائح القصور والحكام بتغليفها بالاسلوب الخرافى والتعبير الرمزى وادماج عدة قصص أو أحداث متباعدة فى قصة واحدة أو ملحمة واحــدة كتبت معظمها باللغة المصرية الدارجة أو اللغة العامية التى انتشر استعمالها فى ذلك العهد ·

وكثيرا ما كان يدمج مع وقائع القصة الاعمال الخــارقة للعادة التى تنسب للالهة أو أعمال السحر التى تصل الى دور المعجزات وهو ما كان محببا الى الشعب وفى كثير من تلك القصص أخفت خوارق الاعمال حقيقة القصة الاصلية التى أراد الكاتب تسجيلها وترك للقارىء اســـتنتاجها · كما تميزت تلك القصـــص بما أطلــق عليه أدب الحـــوار والمساجلة بين أبطال القصة أو بينهم وبين الشـــخصيات الخيالية والرمزية ·

من القصص الخرافية الذائعــة الصـــيت فى أدب ذلك العصر قصــــة الزوجة الخـــائنة أو كما يصر البعض على تسميتها « كيد النساء » وهى تشبه قصصا كثيرة أخرى حكيت فى الادب العالمى الحديث وتعتبر فى نفس الوقت

نموذجا للشعر القصصي العام التي تحدق بوقائعها الخيالية في عالم الخرافات بجانب الاحداث الواقعية وقد نقلها الكاتب المصري « أنانا » تلميذ كاتب الخزانة الملكية ـ « كاجبو » .

وقد اختلف الكتاب والمؤرخون في علاقتها بقصة سيدنا يوسف عليه السلام فذكر البعض أنها مجرد ظن وتوافق خواطر . ولكن اذا عرفنا أن أنانا هو الذي كتب قصص « أبوفيس » « وسقننرع » وان « أبوفيس » كان معاصرا لسيدنا يوسف وزليخة زوجة بوتيفا لانتفى الشك في أن قصة كيد النساء هي تسجيل لقصة سيدنا يوسف مع زليخة زوجة العزيز . بجانب الوقائع المختلفة التي تحويها القصة والتي تمتد جذور كل منها الى فضائح القصور والحكام في ذلك العصر .

وتتلخص قصة « الزوجة الخائنة » في أن أخوين مات أبوهما وترك لهما مزرعة صغيرة وبيتا يضمهما فقام الاخ الاكبر « أنوب » برعاية أخيه الصغير « باتا » وأشرف على تعليمه ونشأته بينما كان هو يقوم بأعمال المزرعة والبيت وحده الى أن كبر باتا واشتد ساعده فقام بمساعدة أخيه في فلح الارض وزراعتها وتربية أنعامها . كما كان « أنوب » في كل موسم من مواسم الحصاد يحمل خيرات المزرعة وثمارها لبيعها في سوق القرية وشراء ما يحتاج اليه البيت والمزرعة وتلبية طلبات واحتياجات أخيه « باتا »

في احدى رحلاته الى سوق القرية أعجبت به احدى جميلاتها فوقع في غرامها . ويدور حوار بينهما تقنعه في نهايته بحاجته اليها وحاجة البيت الى امرأة تقوم بخدمته ورعايتهما حتى ترفرف على البيت السعادة وتطرد الوحدة

ويعود أنوب ليخبر أخاه بما حـدث وقد حملتـه بعض الهدايا لاخيه • ويأخذ أنوب أخاه لزيارتها واستشارته في الزواج منها واقامتها معهما فيوافق باتا ارضاء لسعادة أخيه الذى سيطر عليه حبها • ويعودون معا •• ويضم البيت ثلاثتهم •

وتصف البردية أن الاخ الاصغر عاش معهما فى البيت كأبن لهما فكان يخيط لهما الثياب ويحلب الابقار ويرعي الماشية في الحقل ويعتنى بها فى الزريبة •

كانا يذهبان معا كل صباح الى الحقل بعد أن يصحب باتا الابقار ويحمل أخاه معدات الحقـل • وفى يوم كان يزرعان في الحقل فاحتاجا الى بعض البذور فطلب أنوب من باتا أن يذهب الى البيت لاحضارها •

ولما بلغ الدار رأى زوجة أخيه منهمكة فى تمشـيط شعرها وتعطير جسمها الذى تكسوه غلالة رقيقة تكشـف عن مفاتنها فقال لها قومى وهاتى لى كمية من البذور لكى آخذها وأعود بها الى الحقل بدون ابطاء كما أمرنى أخى •

فقالت له المرأة : أدخل الغرفة وخذ من البذور كما تريد فدخل وملأ وعاءين من بذور القمح والذرة •

ثم سألته ما وزن الحمل الذى تحمله فوق كتفيك فقال: مكيالين من الذرة وثلاثة مكاييل من القمح • فنظرت المرأة الى الصبى بصدره العارى وعضلاته البارزة •

وقالت : ما أشد قوتك وما أحلاك يا فتى ومال قلبهـا اليه فراودته عن نفسه وهى تقول تعال لنقضى ساعة من الراحة والمرح •• وغلقت الابواب وقالت : هيت لك •

وهنا غلا الدم فى عروقه وهاج كنمر مفترس •• أما هى فقد وقفت مذعورة خائفة وهو يقول لها معاذ الله ان أخى

الكبير رب نعمتي وقد أحسن مثواى فلا أخونه فى زوجته وقال لها يا امرأة كنت لى مثل أمى وأخى في منـزلة أبى لانه أكبر منى • ما هذا الشر الذى تكلمت به ؟

فاضمرت المرأة فى نفسها الكيد لهذا الفتى الذى هزمها وفوت عليها ما كانت تريد من اللذة والمتاع •

وعاد الزوج كعادته في المساء لتقابله متمارضة متباكية متظاهرة بالالم تشكو من أذى ألم بها ولم تقدم له ماء لغسل يديه كعادتها ولم تشعل له السراج فكان البيت فى ظلمة وحين رآها زوجها على هذه الحال قال لها : من الذى اعتدى عليك ؟ انهضى وخبـريني •• فاجابت لم يؤذنى أحـد الا أخوك الاصغر فلما جاء ليأخذ البذور وجدنى وحدى هجم على وقال لى ارخى شعرك وهيا بنا نلهو ونمـرح وراودنى عن نفسى فقاومته وقلت له « ألست انا مثل أمك • وأليس أخوك مثل أبيك ؟ » •

على أنه لم يصغ الى كلامى واستخدم العنف معى لكى لا أبوح لك بهذا السر •« وما جزاء من يفعل ذلك الا القتل أو عذاب اليم •• والان ان كنت لا تقضى عليه فأنا سأقتل نفسى » •

وهنا اهتاج الاخ الاكبر واستشاط غضبا كنمر مفترس وشحذ خنجره وأخـذه فى يده ووقف وراء باب الحظـيرة ليقتل أخاه الاصغر عند عودته مع الابقار فى المساء •

وبعد أن غابت الشمس حمل الاخ الاصغر طيبات الحقل على كتفه وعاد مع الماشية كعادته • وفى طريق العـودة بصحبة أبقاره المخلصة يحلق طائر من طيور الايبس « أبو منجل » فوق رأسه ويحط على ظهر البقرة بجـواره ويسر اليه بما انتواه أخوه وبما دبره له من شر (وطائر أبو منجل

يعتبر رمز للمعبود تحوت رســـول المعرفة ويكنى به فى الادب الفرعونى للوحى الهاتف) ومما يلاحظ الى اليـــوم وقوف طائر أبو منجل على ظهور الابقار فى الحقول والمراعى ليخلصها من الحشرات التى تعلق بجسمها وتضايقها ٠

وعندما اقترب باتا من الحظيرة ذكرته البقرة مرة ثانية بقول الطائر وقـالت له احـذر فان أخاك يقف خلف باب الزريبة وفى يده السكين ٠ فأطل الى أســفل الباب ولمح قدمى أخيه واقفا وهو يضمر له الشر ٠

فألقى بحمله على الارض وفر هاربا بين الحقول وأخوه يركض وراءه والخنجـر بيده ٠ ولكـن الاله « رع » خف لنجدة الغلام البرىء ووضع نهرا تسبح فيه التماسيح بينه وبين أخيه وقضى الاثنان الليل كله يقف أحدهما قبـالة الاخر فى حوار طويل برأ فيه باتا نفسه وجب عضو تناسله (وهو ما يعبر به عن يمين طهره وبراءته من الاتصال بها أو ارتكاب جريمة الزنا التى تغضب الالهه) ٠

وهكذا أقنع أخاه فى الصباح بأنه لم يرتكب جرما فى حق الالهة أو حق أخيه وأنه أخطأ اذا صدق زوجته ٠

وأبان باتـا عزمه على الرحيـــل الى وادى الارز حيث سيقضى بقية حياته هناك بعيدا عن الناس وأنه ســيضع قلبه على زهرة فى أعلى احدى أشجاره ٠ وعين له علامة اذا حدثت كانت دليلا على وفاته ويطلب من أخيه حينئـذ أن يذهب الى وادى الارز ويبحث عن قلبــه ويضــعه فى الماء فتعود الى باتا الحياة ثانية وينتقم لنفسه ممن تسبب فى قتله ٠

وذكر له أن العلامة التى سيعلم بها أمر موته هى فوران الخمر فى اناء شربه وانسكابها على الارض ٠

ويفترق الاخوان ويعود أنوب الى داره وقد صمم على قتل زوجته التى تأكد من خيانتها وتسببها فى فقد أخيه الى الابد . وعندما لمحت زوجها وهو عائد والشرر يتطاير من عينيه وشاهدت الخنجر فى يده لم تلوثه دماء أخيه توقعت منه شر الانتقام فتسللت من الباب الخلفى للدار واختبأت بين أشجار الحديقة وأعشابها حتى خيم الظلام فانسابت بين المزارع كالحية الرقطاء حتى وصلت الى حافة الصحراء حيث كان ابن فرعون يضرب خيام الصيد رياضته المحببة فالتجأت الى خيمته وطلبت منه حمايتها بعدما أدعت انها ابنة أحد كبار التجار وانها هربت خلسة فى ظلام الليل لان أهلها يريدون تزويجها من حاكم شرس فى سن أبيها .

فرق الامير لروايتها وأخذ بجمالها الساحر ووقع فى شراك غرامها واصطحبها معه فى رحلة الصيد التى عاد بعدها الى قصره ليقدمها لزوجته ويطلب منها أن تتخذها وصيفة لها .

وبدأت الزوجة الخائنة تنسج خيوط مؤامرة جديدة تتخلص بها من الاميرة لتحل محلها فى القصر بعدما حلت محلها في قلب زوجها الامير فطلبت من ساقية الاميرة التى تعد لها الشراب فى السهرة أن تحضر لها الخمر والكاسات لتعدها بنفسها ولمحتها الوصيفة وهى تضع سائلا من زجاجة تحملها فى كأس الاميرة وتطلب من الوصيفة أن توزع الكاسات على المائدة وتتأكد من وضع كأس الاميرة أمامها فما كان من الخادمة المخلصة التى راودها الشك فيما قامت به الزوجة أو وصيفة الاميرة المحبوبة فغافلتهما وصبت ما كان فى كأس الاميرة فى كأس الوصيفة وأعدت كأسا اخر للاميرة .

وعندما اجتمع نسى تعجلت الوصيفة فى الشرب فى نخب شرف الاميرة حتى تتخلص منها سريعا فاذا بها تسقط فريسة السم الفتاك وتدفع حياتها ثمن خياناتها .

ونعود الى باتا الذى تبدأ رحلته الى وادى الارز بمجموعة من المغامرات التي لا تخلو منها قصـــة من قصص الدولة الحديثة فيسير باتا وحيدا فى ظلام الليل فى الصـــحراء اللا نهائية لا يرى فيها الا نجوم السماء ولا يسمع فيها الا عواء الذئاب بأشباح عصابة من قطاع الطرق تتابع خطواته لتحاول السطو عليه والفتك به .

وبينما هو يعدو للاختفاء منهم فاذا به يقع فى جب أو بئر مهجور يخفيه عن أعينهم ولما يئسوا من اكتشـــاف مخبئه عادوا من حيث أتوا .

ومع شروق الشمس تلمس يداه حبـــلا يتدلى فى البئر فتعلق به وتسلق عليه حتى وصـــل ســـالما الى السطح فيفاجأ فى ضوء النهار بأن الحبل الذى تعلق به ما هو الا ثعبان ضخم فضى اللون وعيناه بلون زرقة السماء وطمأنه بقوله ان الاله أرسله اليه لحمايته وانقاذه لعلمـــه ببراءته ويفهم من أجزاء الحوار بين باتا والثعبان ــ الذى فقد جزء منه ــ ان الثعبان يرد له جميلا سبق أن أســداه باتا اليه وهو لا يعلم عندما أنقذ أولاده من الغرق عندما وصـــلت مياه الفيضان الى حجرة المزرعة ومنع المياه من أن تغمـــر الجحر وتقضى على صغار الثعبان الذى كان بعيدا عن المزرعة فى البحث عن قوت أولاده .

ويطلب باتا من الثعبان أن يرشده الى طريق آمن يوصله الى وادى الارز فيقول له الثعبان « اذا أردت أن تصل سالما الى وادى الارز ولا يجرؤ أحد على اعتراض طريقك فعليك

أن تقتفي أثر المدق الذى تركته فوق أرض الصحراء فذلك الطريق يتحاشون الاقتراب منه خوفا من ملك الزواحف وبطشه فاياك أن تبتعد عنه أو تخطئه وسيصل بك الى الارض الموعودة بعد سبع ليال وسبعة أيام ٠

وهكذا مرت الايام برتابتها حتى وصل باتا الى وادى الارز الذى لاح له فى الافق البعيد فى اليوم السادس فاطمأن قلبه وسجد للاله شاكرا ٠

وعاش باتا وحيدا فى وادى الارز الذى يطل على البحر بأشجاره الباسقة وعاش كما أوحت له الالهة فى عزلة عن الناس وتحاشى رؤية النساء حتى يأمن كيدهن ٠ فالمرأة هى التى أخرجته من أرض بلاده ليعيش سجينا فى وادى الارز بعيدا عن وطنه وأهله (كما عاش يوسف عليه السلام سجينا فى أرض مصر بعيدا عن وطنه وادى الارز) ٠

وقد حرص باتا على الاحتفاظ بقلبه الذى نما على شكل زهرة على قمة أعلى شجرة من أشجار الغابة حتى لا تصل اليه أو تلمسه يد امرأة حتى يعيش قلبه طاهرا ونقيا يستقبل أشعة الشمس ونور الاله كل صباح كما أوحت اليه الالهة وتمر السنون تباعا وهو يرقب قلبه الذى تعذبه الوحدة ويتعبد لربه ٠

ولما رأته الالهة وحيدا فى الغابة وقد تعلق قلبه بالسماء أشفقت عليه وجعلت الاله خنوم يسوى له زوجة صالحة جزاء استماعه لتعاليم الاله والعمل بها طوال تلك المدة ٠ مرحلة التجربة ـ وهنا يأمر باتا زوجته المخلصة الا تغادر الغابة وتنزل الى البحر كما أمرته الالهة ولكن الزوجة غافلته ذات صباح وخرجت الى البحر رغم تحذيره لها من العمل ٠ فجعلت تتأمل جمالها على مرآة صفحة الماء وتتحسس مفاتن

جسمها ثم خلعت ملابسها وأسدلت ضفائر شعرها وألقت بنفسها فى أحضان الامواج فأراد البحر أن يختطفها ولكن باتا الذى كان يرقبها من بعيد أسرع اليها وألقى بنفسه بين أمواج البحر الثائر وأنقذها من براثنه وكل ما أمكن البحر أن يأخذه خصلة من شعرها طفت على وجهه وحملها تياره حتى وصلت الى شواطىء مصر • وهناك فاح شذاها وانتشر رياها فشغف الفرعون بصاحبتها فارسل فى طلب ساحر القصر ليستدل منه عن صاحبة الخصلة ومكانها • فقال له الساحر « لقد أتت الخصلة مع رياح الشرق وتيار البحر التى حملتها أمواجه من بلاد بعيدة تكسوها أشجار الارز وأطنب فى وصف جمالها الساحر الذي وقع اليه البحر فى أسره وحاول اختطافها والاحتفاظ بها لنفسه ولكنه لم يتمكن من الحصول على أكثر من تلك الخصلة التى حملها اليك •

فأرسل الملك أحد أتباعه المخلصين للبحث عنها حتى وجدها تجلس وحدها بالقرب من الشاطىء فأخبرها بأنه رسول الملك الذى شغف بها حبا عندما وصلته خصلة شعرها فاتفقت مع الرسول على أن ينتظرها بعربته الملكية فى مكان معين حددته له فى أسفل الوادى عند مخرج الغابة حيث ستوافيه فى منتصف الليل عندما ينام زوجها ويشرق القمر • ويستيقظ باتا فى صباح اليوم التالى فلا يجد زوجته ويعرف باتا من طيور الغابة ان احدى عربات فرعون قد اختطفتها وهربت بها فى اتجاه مصر •

وتصل زوجة باتا الى قصر فرعون الذى يقع أسير غرامها وتغريه ليعلن زواجه عليها لتصبح الملكة المتوجة •• أمنيتها التى كانت تحلم بها •

وبا كانت تخاف بأس زوجها الذى سينتقم منها كما كما انتقم منها أخوه من قبل ! ولم تفسر البردية علاقتهما بأخيه أو بزوجة أخيه التى خانته) فقد أغرت الفرعـون بقطع شجرة الارز التى تحمل قلب باتا . حتى لا يلاحقها باللعنة ويقضى عليها وبذلك تستريح منه الى الابد وتصبح ملكا لفرعون وحده . وهكذا يرسل فرعون رجاله للبحث عن شجرة الارز التى تحمــل قلب باتا فى المكان الـذى وصفته وحددته له زوجته وأمرهم بقطعها . واستدلوا على الشجرة بالزهرة الكبيرة التى تعلو قمتها وقاموا بقطعهـا فسقط قلب باتا بسقوطها .. ومات .

عندئذ حدثت العلامة التى كان قد ذكرها باتا لاخيـه « أنوب » ليعلم بها أمر موته . فبينمـا كان أنوب يجلس وحيدا فى حديقة داره التى كانت تجمعه مع أخيه بعد موت أبيهما وقبل أن تفرق بينهما الزوجة الخائنة وبينمـا هو غارق فى دوامة أفكاره وما وصل اليه حاله وحال أخيـه الذى تسببت فيه الزوجة الخـائنة . ينقبض قلبـه فاذا بآنية الخمر تهتز فى يده ويفور الخمـر وينســكب على الارض وهنا يوقن بأن أخاه قد مات .

فيشد رحاله فى الحال الى وادى الارز لينقذ قلب أخيه ويستمر البحث عدة سنوات حتى يجد أنوب قلب أخيه فى صورة فاكهة نادرة ووحيدة وله احساسه على انهـا روح أخيه . فحملها ووضعها فى اناء مملوء بالماء كمـا أخبـره عندما افترقا . وهكذا عادت الحياة الى باتا الذى صـير نفسه ثورا قويا حمل أخاه الى مصر .

وعندما وصل الى داره طلب من أخيه أن يقوم باهدائه الى فرعون ليحتفظ به فى قصره ضمن الثيران الملكية المقدسة

ففرح فرعون بذلك الثور النادر وقربه اليه لما يمتاز به من علامات مقدسة تتوج جبهته ·

وتنزل زوجته الى الحديقة لمشاهدة الهدية التى أهداها أنوب للملك فيقترب منها الثور الجميل ويفصح لها عن شخصيته وأنه جاء لينقذها ظنا منه أن رجال فرعون اختطفوها وأنها بريئة مما حدث وما زالت تحفظ له الود والوفاء · فاذا بها تغرى فرعون بذبحه وتقديمه قربانا للالهة حتى تتخلص منه الى الابد · ويستمع الى رأيها ويستجيب لمكيدتها فيأمر بذبح الثور أمامها ·

وفى مكان ذبح الثور تطايرت منه نقطتان من الدم نبتت مكانهما شجرتان من أشجار الاتل ونمت الشجرتان بسرعة ولمع ساقاهما الفضيتين وقد سكنت فيهما روح باتا · وبينما كانت الزوجة تجلس فى ظلها أسر باتا الى زوجته بأمره وهو لا يعلم أنها هى التى أمرت بذبحه لتتخلص منه

فما كان منها الا أن أغرت فرعون بقطع الشجرتين وتسليمهما الى صناع الاثاث وفنانى القصر لصناعة الاثاث.

وفى أثناء قيام الصناع بنجارة الاثاث وهى تراقب حفر الاخشاب تطايرت شظيتان من نشارة الخشب ودخلتا فى فمها · · فحملت وأنجبت صبيا جميلا صار وليا للعرش وعند وفاة الملك نصب هذا الصبى خلفا له ملكا على البلاد

ولم يكن ذلك الصبى الا « باتا » نفسه وعندما أيقنت أن الملك هو باتا زوجها الذى خانته ودبرت سلسلة المكائد المتتابعة للتخلص منه تأكدت انه سينتقم منها شر انتقام لنفسه ولاخيه ·

وألقت شراكها هذه المرة حول الضابط الشاب أخى

الملك الراحل والذى كان يحقد عليه لانه من أم غير شرعية وأغرته بالتخلص من باتا ليخلو له الجو فيجلس على العرش ، تصبح هى زوجة له .

ويخرج باتا ليتجـــول فى حديقــة القصر حتى ينتهى الحراس من اعداد عربة الصيد ومعداته ويجلس ليستريح فى ظل احدى أشجار الحديقة فاذا بطائر « أبو منجـل » الهاتف يحط على فروع الشجرة التى تظلله ويحذره من الخروج للصيد ويسر له بما دبرته الزوجة الخائنة فيعود فورا الى القصر ويأمر بالقبض عليها وعلى أعوانها بعد أن يعترف له رفيق الرحلة الذى كان قد كلف باغتياله بدورها فى المؤامرة فيقتلها بيده بسهام الصيد التى كان سيقتل بها .

وهكذا انتقم باتا من الزوجة الخائنة شر انتقام .

اللصان الشقيقان
ولعنة الكنز !!

أن قصة «اللصان الشقيقان» أو كنوز الملك هيريوس التى نسبها كتاب أدب القصة العالمى فى تراجمهم الى الاغريق هى فى الواقع من قصص الادب الفرعونى القديم بالدولة القديمة المعاصرة لبرديات وستكار أو ألف ليلة وليلة الفرعونية التى ألفها الكاتب المصرى للملوك عصر الاهرامات وتتبع نفس النسج والاسلوب القصصى لكتاب ذلك العصر.

وتتلخص أحداث القصة الاغريقية فى ان الأخوين « جاميدس وتروفونيس » كانا من أشهر البنائين . كلفهما الملك هيريوس ببناء خزانة منيعة لحفظ كنوزه فقاما بمهارة فائقة ولكنهما حشرا سرا بين أحجار جدارها الخارجى حجرا يمكن سحبه فى سهولة ويسر بحيث يتمكن من يريد الدخول الى الخزانة أن يأتيها من غير بابها الذى وضعت على أختامه وترباسه حراسة قوية .

وقام الاخوان بعد أن وضع الملك كنوزه فيها بدخول الخزانة من وقت الى آخر وسرقة بعض ما بها من أموال وكنوز وعندما اكتشف الملك هيريوس أن كنوزه تتناقص نصب فى الخزانة شركا وقع فيه أحد الاخوين العاملين وعجز أخوه عن تخليصه فاضطر أن يقطع رأسه ويهرب حتى لا يتعرف أحد عليه .

فالقصة ينسجها الاغريق وما دخل عليها من تحوير لا تختلف عن الاصل الفرعونى الذى يسبقها بألفى سنة . والتى استمر تداولها ــ ككثير غيرها من القصص الشعبى

لعدة أجيال ــ حتى نقلها كتاب الاغريق ومؤرخوهم الذين توافدوا على مصر فى العصور المتأخرة ابتــداء من القــرن الخامس قبل الميلاد ٠

وتدور وقائع القصــة الفرعونية حول كبير من أثرياء منف كان يمتلك ثروة طائلة ويدخــر من الكنـــوز ما لم يستطع أحد فى منف أن يقتنى أكثر منها أو يدانيه فيها ٠

واشتهر بين أهل المدينة ببخله الزائد وتقتيره على زوجته وولديه الوحيدين ٠ كما لم يكونوا على وفاق معه عنــدما بلغهم انه على صلة بغانية معروفة فى مدينة « ســايس » كثيرا ما يرحل لقضاء أيام بجانبها ويغدق عليها الكثير من أمواله وكنوزه كما أشاعت فى المدينة انه ســـيتزوجها ٠ وبذلك ستصبح سيدة الدار وتستولى على قصره وكنــوزه ويحرم منها زوجته وولديه ٠

وحرصا منه على كنز تلك الثروة فى أمان ابتنى خزانة من الحجر الصلب تمتد احدى حوائطه الى الجدار الخارجى للقصر ٠

عندما شرع البناء فى بناء حوائط الخزانة فكر أبنــاءه فى حيلة اتفقا مع البناء على تنفيذها بعد ما رشوه بالاموال الوفيرة وتنطوى الحيلة على وضع حجر سرى بين أحجــار الحائط بحيث كان من السهل على رجل واحد يرفعه والمرور خلال الفجوة التى يسدها ٠

ولما انتهى البناء من القيام بمهمته أجزلوا له العطــاء حتى ليتمكن من مغادرة المدينة حتى اذا انكشفت الحيلة لن يتمكن الاب من ملاحقته والانتقام منه واتهامه بالسرقة ٠ وفى نفس الوقت يضمن الاخوان الا يشى بهما أحد ٠

وما أن تسلم الاب الخزانة حتى كنز أمواله فيها بعد أن وزعها في قدور متراصة •

وقام بالعمل وحده طوال الليل في غيبة أهل القصر حتى لا يطلع أحد على أسرارها ثم أغلق باب الخزانة الذى لايمكن لاحد أن يفتحه أو يصل الى سر فض أختامه •

ولم ينتظر الولدان طويلا وخرجا من القصر ليلا أثناء غياب والدهما خارج المدينة واكتشـفا الحجـر بالجدار فرفعاه بيديهما وانزلق بدون مشقة ودخلا الخزانة فحملا مقدارا كبيرا من الاموال •

وعندما عاد الاب من رحلته فتح الخزانة للاطمئنان على ما بها فأخذته الدهشة عندما شاهد أن المال الذى بالقدور قد قل رغم أن الخزانة كانت أبوابها محكمـة وأختـامها سليمة لم تمسها يد • ولما قام بفتح الخزانة مرة ثانيـة وثالثة تبين له أن الاموال اخذه فى النقصان باسـتمرار وخامره الشك القاطع أن هناك من تمكن من دخول الخزانة بطريقة سرية وانه لن يتوانى فى السطو عليها مرات أخرى

فلجأ بدوره الى الحيلة وأمر بصـنع أشراك وضـعها بجانب القدور التى وضعت بداخلها الاموال والكنوز حتى اذا اقترب أحد من احداها وحاول فتحه وقع فى مقـابض الشرك ولن يتمكن من الافلات •

لما دخل الاخوان الى الخزانة كما فعلا فى الايام السابقة اقترب أحدهما من أحد القدور وحاول فتحه وقع لتوه فى الشرك ولم يتمكن من تخليص نفسه • ولما أيقن وهو فى مأزقه انه لابد هالك طلب من أخيه أن يتقدم ليقطع رأسه ويأخذها معه حتى اذا رآه أحد لا يمكنه التعرف على شخصه حتى لا يكون فى ذلك هلاك أخيه • فاقتنـع الاخ بوجاهة

الفكرة وقام بتنفيذ ما أمره به أخيه ورجع الى بيته يحمل رأس أخيه ٠

وفى الصباح عندما دخل الاب الخزانة ذهل عندما فوجىء بجثة اللص فى الشرك دون الرأس بينما كان المكان سليما لا أثر فيه مطلقا لدخول أحد أو الخروج منه ٠ فلجأ فى حيرته الى الحيلة فعلق جثة اللص المجهول فوق الحائط وأمر الحراس الذين وضعهم لحراستها أن يقبضوا على من يرونه باكيا أو نادبا أو من يحاول سرقة الجثة حتى يمكنه الاستدلال على حقيقة صاحب الجثة ومن كانوا يعاونونه أو يعمل لحسابهم ٠

ولما علقت الجثة ثارت ثورة الام وطلبت من ابنها الوحيد ـ الذى تبقى لها ـ أن يحتال بكل ما يستطيع من الوسائل والحيل حتى يفك جثة أخيه ويحضرها لها لان الام كرهت أن تدفن جثة ابنها بغير تحنيط فيكون مصيرها الفناء وحرمانها من الوصول الى عالم الخلود حيث يجتمع شملهم جميعا بعد حين ٠

ويلجأ الابن الى أحد السحرة الذى يعطيه اناء من الخمر بعد أن يطلق تعاويذه السحرية عليه ويطلب منه أن يتحايل على الحراس حتى يسقيهم من الخمر المسحور فاذا تمكن من ذلك سيخلو له الجو والمكان لفك قيود جثة أخيه والهروب بها ٠

يذهب الابن بعدما تغرب الشمس حين لا يكون هناك أحد بالقرب من الجثة المعلقة على الحائط سوى الحارسين القويين فيقوم بتنفيذ ما أمره به الساحر ويعد حمارا يحمل عليه جرة الخمر وعندما مروره بجوار الحارسين أخذ يضرب الحمار بالعصا ليحثه على سرعة المسير فأخطأه فى احدى

الضربات وأصابت العصا الجرة فثقبتها وأخذ الخمر ينبثق فأخذ يصيح ويضرب رأسه فأسرع الحارسان كل يحضر أوعيته ليأخذ فيها من الخمر المتدفق حاسبين ذلك غنيمة وساعداه على انقاذ ما تبقى من الجرة بعد سد ثقبها وتثبيتها فشكرهما على صنيعهما وطلب منهما تذوق ما حصلا عليه من الخمر المعتق الفاخر الذى كان يود تقديمه كقربان للمعبد ٠

فأخذا فى تذوقه ثم شربه بنهم فاذا بالسحر يظهر تأثيره عليهما سريعا وينظر الحارسان الى الجثة المعلقة على الحائط فاذا بها قد تحولت الى تمساح حى ضخم الجسم يضرب الحائط بذيله وأرجله وهو فاغر فاه ويشع الشرر من عينيه فأصاب الحارسان الذهول وانتابهما الذعر فتركا مكانهما وهربا طلبا للنجاة ٠

وقام الاخ بفك رباط جثة أخيه وحملها على الحمار وعاد بها الى البيت حيث كانت أمه فى انتظاره فوضعا الجثة والرأس المقطوع فى تابوت جميل وحملاه الى دار التحنيط بعد مرور أيام تم خلالها تحنيط جثة الاخ القتيل ونقلها الى مقبرة أعدت خصيصا لها يذهب الابن فى ظلام الليل ليدخل الخزانة عن طريق الفتحة السرية وهو يحمل على كتفه قدرا مماثلا للقدور الموجودة بالخزانة أعدته له أمه ووضعت به حية من نوع الكوبرا القاتلة وقد طلبت منه أن يضع القدر بما حوى فى مواجهة باب مدخل الخزانة مباشرة حتى اذا فتح الاب القدر كعادته لاخذ بعض محتوياته من أموال ومجوهرات لحملها الى عشيقته الغانية قضت عليه الكوبرا المميتة ٠

وحذرته أمه من الاقتراب من القدور الاخرى وأخذه

الحيطة عند المرور بينها حتى لا يواجه مصـــير أخيه ..
ويعود الى القصر قبل طلوع الفجر بعد أن ينجح فى مهمته
ويغلق الفجوة السرية بالحائط .

ويدخل الاب الى الخزانة فى الصباح الباكر كعادته قبل سفره للاطمئنان على كنوزه وحمل ما يحتاجه اليه منها فى رحلته الى مدينة سايس . ولما يطول غيابه داخل الخزانة الذى يستمر طوال اليوم يعود الحارس للاطمئنان عليه فاذا به يجد سيده ممددا على الارض جثة هامدة والحية المميتة تحيط بذراعه الذى دسه فى القدر بعد رفع غطائه .

وهكذا نجحت حيلة الام وتم لها ما أرادت من انتقـــام لابنها الذى تسبب أبوه فى قتله .

لقد وردت قصة الاخوان والكنز فى كتاب هيرودوت فى وصف تاريخ مصر سجلها على أنها جزء من تاريخ ملـوك عصر الاهرامات فنسب القصة الى الملك (رامسينيتوس) رمسيس الثالث ابن الملك ست نخت وهما من ملوك الاسرة ٢٠ التى حكمت عام ١١٦٠ ق . م على انه والد الملك خوفو صاحب الهرم الاكبر وهو من ملوك الاسرة الرابعـة وكان حكمه خلال عام ٢٦٥٠ ق . م أى بفارق فى التاريخ الزمنى بألف وخمسمائة سنة بين الاب وابنه فكان هيرودوت الذى أطلق عليه مؤرخو الغرب ظلما لقب أبو التاريخ . والذى كان كغيره من مؤرخى اليونان يجهلون اللغة المصرية وكتاباتها الهيروغليفية ــ وقد وقع ضحية التراجمة والكتاب المصريين الذين تعودوا السخرية من الكتاب والمؤرخين الاجانب الذين كانوا يحاولون السطو على التراث المصرى فى علوم النثر والادب ونقله الى بلادهم لينسبوه الى أنفسهم .

بجانب تلك الاخطاء التاريخية الفاحشة فى نقل القصة

فقد وجد هيرودوت نهاية ساذجة للقصة تبعدها كل البعد عن احتمال كونها قصة واقعية أو وقائع تاريخية تنسب الى تاريخ مصر فيصف نهاية القصـــة كما وردت حرفيـــا في الفصل ١٢١ من كتابه كما يلى ٠

واستشاط الملك غيظا حينما بلغه بأن جثـة اللص قد سرقت وأراد أن يكشف بأية وسيلة شخصية مدبر تلك المكيدة فلجأ الى الحيلة التالية ٠

وضع الملك ابنته فى ماخور وأمرها أن تستقبل جميـع من يفدون اليها على السواء وأن تختبر كل زائر منهم قبل مجىء أباها ٠ على أن يقص عليها أبرع وأخبث ما فعل فى حياته حتى اذا روى أحدهم ما حدث بشأن اللص ٠ فعليها أن تمسك به ولا تسمح له بالخروج ٠وعندما بدأت الصبية بتنفيـذ ما أمرها به أبوها جاء اللص الذى كان عليهمـــا بالسبب الذى من أجله دبرت تلك الخديعة وأراد اثبـاته انه يبز الملك فى مكره وخدعه ـ قطع من عند الكوع ذراع جثة شخص مات حديثا ٠ وذهب الى ابنة الملك يحمـــل الذراع تحت ردائه ٠

ولما دخل عليها وجهت اليه الاسئلة التى وجهتهـــا لمن سبقوه فأنبأها أن أشنع ما قام به هو قطـع رأس أخيـه عندما وقع فى شرك فى خزانة الملك وأن أمهر ما أقدم عليه هو فك جثة أخيه المعلقة بعد ما أسكر الحراس فلما سمعت الفتاة ذلك همت بالقبض عليه فمد اليها اللص فى الظلام ذراع الجثة فأمسكت بها فترك لها الذراع خفية وهى مطبقة عليها حاسبة انها ممسكة بذراعه وتسلل هو ٠

ولما وصلت هذه الانباء أيضا الى الملك اندهش لفطنة
هذا اللص وجرأته وذكائه فأرسل فى النهاية الى كافة المدن
معلنا انه اذا حضر الرجل الى حضرته فهو يضمن له حريته
ويعده بوعود مغرية فوثق به اللص وذهب اليه فأعجب به
الملك رمسيس أشد الاعجاب وزوجه من ابنته هذه لكونه
برع الخلق أجمعين .
اذ انه يبز المصريين كلهم وهؤلاء يبزون سائر البشر
بالبراعة » .

كيف ضحك الفراعنة على المؤرخ هيرودوت ؟

منذ ستة الاف سنة والكاتب المصرى الجالس القرفصاء يتعرض الى عملية نهب وسطو منظمة على مؤلفاته !

سرق العالم مؤلفاته الحقيقية ونسبها الى مؤلفين وكتاب غربيين !

وطوال الصفحات السابقة تابعنا حكايات وقصص مجنون ليلى .. السندباد البحرى والكوميديا الالهية ـ وكليلة ودمنة .. وألف ليلة وليلة .. و .. و ..

● **البداية هيرودوت :**

ان أول من حاول سرقة الكاتب المصرى والسطو على نتاج أفكاره فى الادب والقصة والشعر كان مؤرخى الاغريق وكتابهم . وفى مقدمتهم هيرودوت وسولون وتيودورس وأفريكانوس ثم تبعهم مؤرخو الرومان أمثال شيسرون وبلليني .

وقد اعترفوا جميعا فى تراجم حياتهم بجهلهم وعدم معرفتهم باللغة المصرية القديمة وعدم درايتهم بخطوطها ونقوشها وكتاباتها ولذا فقد اطلقوا اسم « الهيروغليفية » أو النقش المقدس (هيرو ـ غليفوس) وهو الاسم الذى

ذلك فيما بعد - وحتى اليوم - على كل ما هو غامض أو غير مفهوم .

لذلك فقد كانوا يلجأون الى الكاتب المصرى والتراجمة وصغار الكهنة من كتاب المعابد ليترجموا لهم ما يقع تحت يديهم من مستندات وبرديات أو ما يصادفهم من نقوش ورسوم .

وهكذا وجد الكاتب المصرى ابن البلد فرصـــة ذهبية اتيحت له ليسخر من هؤلاء السـواح الاجانب الذين أتوا لسرقة أفكاره ومقومات تراث حضارته الادبى . وجـدها فرصة لا تعوض « ليسرح بهم » ويمرح بخياله فى وصف ما يريدون معرفته وترجمة ما يريدون كشف أسراره من نقوش وكتابات وقصص وأحداث تصف حضـــارة مصر وتعبر عن تراث تاريخها وحياة مجتمعات شعبها فحلقـــوا بخيالهم فى ترجمة البرديات وتفسير النقوش بما يخالف مضمونها ونسبوا قصصهم الشعبية الى شخصيات تاريخية معـــروفة . وأماكن لا ترتبـط بالتـــاريخ الزمنى لتلك الشخصيات . ونسبوا الى كل منها احداثا وواقعا لم يكن لها فى الواقع الا فى ابتكارات خيالهم .

وتسارع المؤرخون والكتـــاب الى نقل تلك القصـص التاريخية وما ارتبط بها من أسرار المعرفة ونســـبوها الى أنفسهم أو الى دراساتهم وأبحاثهم الخاصة .. فوقعوا فى شر أعمالهم واعترف العالم ومؤرخو العصر الحديث « بأن الكاتب المصرى كان أكثر ذكاء ممن سرقوا أدبه وأفكاره .

كان فى مقدمة ضحايا انتقام « الكاتب المصرى » ومقالبه الذكيـة المؤرخ الاغريقى « هـيرودوت » الـذى يعتبـره المؤرخون وكتاب الفرعونيات المرجع الاساسى للحضـــارة

الفرعونيه وتاريخ مصر وأطلقوا عليه اسم « أبو التاريخ »
بينما كشف مؤرخو الفـــراعنة المصريين وفى مقدمتهم
« مانيتون السمنودى » الذى كان اول من كتب التـاريخ
الزمنى لمصر وقسمه الى عصـــور وعهود واسرات وقوائم
زمنية لحكم الملـوك وأسـمائهم وأعمالهم وهو ما تحققت
صحته بما كشفته الحفريات عبر السنين الى يومنا هـذا
فانكشف زيف التاريخ الذى افترى عليه هؤلاء الكتـــاب
الاجانب ٠

وقد خرج كل من الكـاتبين الالمانيين فيدرمان وهايدى
بابحاثهما التى كشفت بأن أبا التاريخ كان ضحية مقالب
الكاتب المصرى كما نشر سودربرج السويدى بحثا مماثلا
وصف فيه هيرودوت بأنه كان ضـــحية « لعنة الفراعنة »
التى كان الكاتب المصرى يتقن لعبتها ٠

واذا راجعنا ما كتبه هيرودوت « أبو التاريخ » عن عصر
الاهرامات وبناتها نجد انه عندما وصـــف الهـرم الاكبر
وكانت واجهاته تكسوها النقوش والرموز التى وضـــعها
مؤرخو الفراعنة ومتون الاهرام بأنها كانت رموزا بيـانية
لقياس الزمن بالنسبة لسقوط أشعة الشمس على واجهاته
« كمزولة شمسية » وخطوطا هندسية لحســـــاب دورة
النجوم فى قبة السماء وكانت تستخدم فى رصد النجوم
والبروج السماوية وارتباطها بالتنجيـم الـذى برعوا فى
كشف أسراره ٠٠ نجد هيرودوت يصف تلك النقوش (فى
الفصل ١٢٥ من كتابه عن تاريخ مصر) بقوله :

« وقد بينوا على واجهات الهرم بالحروف الهيروغليفية
ما أنفق ثمنا لما استهلكه العمال من الفجل والبصل والثوم
واذا وعت ذاكرتى بالضبط ما قاله الترجمان عندما قـرأ

على النقش • فان النفقات بلغت ١٦٠٠ تالنت من الفضة • بالاضافة الى ما أنفق على مأكل العمال وملابسهم » •

وبجانب تلك السخرية من عقلية كبار كتــاب الغرب وسذاجة مؤرخيه فقد خـدع التراجمـة هيرودوت بتقدير النفقات بالتالنت والفضة والمعـروف أن الفضـــة لم تكن متداولة أو معروفة فى مصر الا بعد عصر الاهرامات بألف وخمسمائة عام •

ويصف هيرودوت بناء الهرم الاكبر بقوله (فى الباب ١٢٦) :

« لقد بلغ كيوبس ـ فيما يقـــولون ـ أحـط درجات الرذيلة حتى أنه عندما احتاج الى المال لبناء هـرمه الاكبر وضع ابنته هو فى ماخور وأمرها أن تحصـــــل على مبلغ معين لم يذكروا لى مقداره • وفضلا عن حصولها على ماأمرها به أبوها الملك فانها فكرت بدورها فى ترك أثر خاص بها لذلك كانت تطلب الى كل من دخل عليها أن يهدى اليهـا حجرا • ومن هذه الاحجار ـ فيما يقال ـ النهـار عنـدما يكون الجو صـــحوا لان البنت توسلت الى أبيها أن ترى الشمس مرة واحدة فى السنة •

لقد كشف التاريخ الحقيقى لمصر الفـــرعونية أن عصر الاهرامات كان رمزا لعودة توحيد الاله رع واقامة معابده فى منف وهو ما يؤكد ان الهرم الاكبر لم يكن مقبرة للملك خوفو كبقية الاهرامات الاخرى بل كان مرصـــدا للقبـة السماوية ومعبدا لرب السماء مما تؤكده متون الاهرامات وتشاريعها •

أن من يعرف اخلاق المصريين وسلوكهم وايمانهم بالقيم الانسانية فى ذلك العصر بالذات • يعرف مما ورد مفصلا

فى كثير من برديات التشاريع فى الدولة القديمة ومتـون الاهرام اعتبار الزنا من كبائر الاثم الذى يجازى مرتكبهـا بأن يعتبر منبوذا من المعبد والشمس كما صـدرت قوانين في ذلك العصر بالذات باعتبار الدعارة اثم يجازى مرتكبها بالموت •

ومما هو جدير بالذكر أن القصة ومضمونها قد وردت قصة مماثلة لها في العصر المتأخر من القصص المعـــروفة باسم غانيات نيكراتيس الاغريقيات • وتصف القصـــة احدى الغانيات التي بنت لنفســـها قصرا من المرمر يعد أجمـل قصر فى المدينـة فكانت تطلب من كل من يدخل عليها من عشاقها أن يهديها حجرا تضيفه الى بناء القصر •

كما يؤكد بعض كتاب المصريات أن تلك القصة لا تخرج عن قصص وستكار « ألف ليلة وليلة الفـرعونية » التى تناولها كتاب الدولة القديمة وعصر الاهرامات بالذات •

● البقرة الذهبية !

وينتقل هيرودوت من تاريخ الملك خوفو الى حقبة الملك منقرع ولم يذكر شيئا عن الملك خفرع صـــاحب الهـرم الثاني وأبو الهول الذى جذب انتباه جميع المؤرخين الذين زاروا مصر واهراماتها وأطلق عليه بعضهم اسـم حارس الاهرام •

ويصف هيرودوت منقرع بانه ابن الملك خوفو الذى تولى الحكم من بعده ويقول :

« كان منقرع على خلاف أبيه فتح المعابد وقدم القرابين والهدايا للالهة والكهنة وكان من أعدل الحكام الذين أحبهم

الشعب ولذا فهم يخصونه بالمديح دون سائر الملوك وكان من أمواله الخاصة يدفع تعويضا لكل من لا ترضيه أحكامه أو يشكو من ظلم القضاه •

وبينما هو يقيم العدل في البلاد ويحبو الشعب بحسن رعايته دائب على عمل الخير في ورع وتقوى نزلت به أولى المصائب وهى وفاة ابنته الطفلة الوحيدة التى كانت له فى القصر • فاستولى عليه حزن عميق من جراء الخطب الذى نزل به فأعلن الحداد في جميع البلاد التى شاركته احزانه وقرر أن يدفن ابنته بطريقة تخالف ما عداها فأمر بصنع بقرة جوفاء من الخشب على شكل المعبودة حتحور وكساها بالذهب ثم دفن أبنته المتوفاه بداخلها •

ويقول هيرودوت ان البقرة لم توضع فى القبر ولكنها ما زالت ترى حتى يومنا هذا وقد شاهدتها فى مدينة « سايس » موضوعة بالقصر الملكى باحدى قاعاته المزينة ويحرقون بجانبها طوال الوقت مختلف أنواع البخور • وكانوا يخرجون البقرة الى ضوء النهار عندما يكون صحوا لان البنت توسلت الى أبيها أن ترى الشمس مرة واحدة فى السنة •

وعلى مقربة من قاعة البقرة المقدسة توجد قاعة أخرى بها تماثيل سرايا منقرع وهي تماثيل ضخمة لنسوة عاريات يبلغ عددها عشرين تمثالا مختلفة الاوضاع •

وفى باب اخر من الكتاب يعيد رواية قصة البقرة والتماثيل الضخمة بقوله :

« ان منقرع هام بحب ابنته الوحيدة وجامعها رغما عنها وان البنت شنقت نفسها بعد ذلك وأن الام أمرت بصنع البقرة التى دفنتها فيها واحتفظت بها فى القصر ورفضت

وضعها فى القبر حتى تكون أمامها وبجوارها باستمرار ..
وقالوا ان الام قطعت أيدى الوصيفات اللاتى قدمن البنت الى أبيها وان التماثيل تعرض لما لاقته النسوة فى حياتهن .. ويصف هيرودوت كما شاهدها وقد تقطعت أيديهـــا والقيت بجانبها .

فذلك الخلط والتناقض فى سرد تاريخ الملك منقـــرع الذى يظهره مرة بأنه كان ورعا متدينا بينما فى باب اخر يصفه بأنه كان منحلا مستشهدا فى الحالتين بقصة واحدة اختلف نسجهـــا فما يثبت ان هـــيرودوت كان كغـــيره من المؤرخين الاجانب ضحية الكاتب المصرى والتراجمة ورواة القصص الشعبية .

ويغلب الظن أن قصـــــة « البقرة الذهبية » من طابع أسلوبها وطريقة سردها ترجح انها من القصص الشـــعبية التى تداولها أدب الدولة الحديثة .

وتستمر القصة وخيال مؤلفها ليكملها هيرودوت تاريخ منقرع بقوله :

« جاء وحى من مدينة « بوتو » الى الملـــك يخبـــــره أنه سيعمر ست سنوات فقط ويموت فى بداية السنة السابعة فلما عرف منقرع أن مصيره قد تقرر ونهايته قد تحـــددت قرر أن يتحدى المصير ونبوءة كهنة معبد بوتو فأمر بصنع مصابيح عديدة قوية الاضاءة كان يشـــعلها عندما يخيم الظلام ويجيىء الليل ويتمتع بلذات الحياة دون انقطـــاع سواء بالليل أو بالنهار حتى تصير السنوات الست اثنتى عشرة سنة وطاف بالمستنقعات والغابات وورد كل مكان علم أن به أحب متع الحياة وقد فعل ذلك رغبة منه فى تكذيب الوحى .

ويضيف هيرودوت ان الملك منقـــرع ترك بدوره هـــرما

اصغر بكثير من هرم أبيه وينسب الى نيتوكريس التى خلفته على العرش هى التى أكملته لانه مات قبل اتمام بنائه .

ويختم هيرودوت تاريخ عصر الاهرامات أو حواديت عصر الاهرامات بالملكة نيتوكريس التى انتهى بنهايتها تاريخ الاسرة الرابعة .

ويصفها بأنها الملكة الوحيدة فى تاريخ الفراعنة بينما ورد فى قوائم الملوك وتقسيم الاسرات الذى دونه المؤرخ المصرى ماينتون اسم تسع ملكات جلسن على عرش الحكم فى مصر من بينهن مريت نيت حفيدة الملك مينا فى الاسرة الاولى والملكة سبك نفرو رع فى الاسرة الثانية عشرة والملكة حتشبسوت المعروفة فى الاسرة الثامنة عشرة منتهيا بكليوباترة .

ويصف هيرودوت تاريخ نيتو كريس بقوله :

« تلا على الكهنة من ثبت البردى أسماء ثلاثمائة وثلاثين ملكا اخرين حكموا بعد مينا وكان ضمن هذه الاجيال ثمانية عشر ملكا من الاثيوبيين وامرأة واحدة من أهل البلاد والمرأة تدعى نيتو كريس كالملكة البابلية . ثم قالوا لى انها احتالت وأهلكت الكثير من المصريين انتقاما لاخيها الذى قتله المصريون أثناء حكمه عليهم وولوها الملك بعد قتله . فقد ابتنت قاعة واسعة تحت الارض وقالت انها ستحتفل بافتتاحها ولكنها كانت فى قرارة نفسها تدبر أمرا غير ذلك

وللاحتفال بافتتاح القاعة أعدت وليمة عظيمة دعت اليها عددا كبيرا من المصريين وخاصة أولئك الذين علمت انهم كانوا من المتآمرين على قتل أخيها وأثناء انشغالهم بالتهام الطعام واحتساء الشراب أنسحبت خفية وأعوانها خارج القاعة وأغلقوا الابواب الحجرية الصماء خلفهم ثم أطلقت

على القاعة ماء النهر من قناة واسعة خفية •

هذا كل ما رواه لى عن هذه الملكة فيما عدا انها بعد أن قامت بفعلتها هذه ألقت بنفسها فى بئر مليئة بالرماد حتى لا تعاقب •

وقد بلغ استخفاف « الكاتب المصرى » بعقلية كتـــاب الغرب ومؤرخيه الذين أتوا لسرقة أفـكاره •• بلغ قمتـه عندما حاول هيرودوت كشف الستار عن عمر الحضــــارة المصرية فيقول ان الكهنة قد أطلعوه على قاعة مقدسات وقوائم كبار الكهنة المبجلين الذين توارثوا رئاسة المعبد ٢٤١ جيلا من الكهنة حكموا مصر من يوم نشأتها الى يوم زيارته للمعبد وقرر تلك المدة بـ ١٣٤٠ عاما •• ويسترسل هيرودوت فى مذكراته التاريخية فيقول : « وقالوا ان الشمس فى ذلك العصر غيرت دورتها المألــوفة أربع مرات • فأشرقت مرتين من حيث تغرب الان وغربت مرتين من حيث تشرق الان • ولم يتبع ذلك أى تغيير فى مصر لا فيما تغلة الارض ولا فيما يجود به النهر ولا فيما يتعلق بالامراض أو الموت»

وهى أسرار ومعلومات تاريخية لا تحتاج الى تعليق ولا تعبر عن ذكاء « أبو التاريخ » بقدر ما تعبر عن ذكــاء من خدعوه عندما لقنوه اياها •

أن ما يقال عن هيرودوت يقال عن جميع مؤرخى الاغريق والرومان القدماء الذين حشروا كتبهم ومذكراتهم عن تاريخ مصر بالاساطير والخرافات والاراجيف والقصص التى تثبت انه لم يكن لها وجود الا فى أرجاء خيــال الكاتب المصرى والتراجمة •

وهكذا انتقم الكاتب المصرى لوطنه ممن سطوا على أفكاره فعراهم وجردهم من ألقابهم كمؤرخين أو كتاب أو أدباء •

التفاصيل الكاملة لتهريب المســلات المصريـة !!

يوما ما كان لدينا ١٢٠ مسلة ترتفع فى ســماء مصر تحكى تاريخ العقيدة والكفاح وحضارة مصر !

يوما ما اختفت تلك المسلات لترتفع فى عواصم العـالم ومدنه المختلفة . ولم يبق فى مصر سوى خمس مســلات فقط ..

وتبقى قصة انتقال باقى المسلات خارج أرض وســماء مصر قصة مثيرة تدعو للدهشة والتأمل والتساؤل أيضا .

لماذا .. وكيف .. ومتى .. و .. و

المسلة .. رمز بها المصريون القدماء الى أصبع العقيدة الذى يشير الى عرش الاله في السماء للتعبير عن وحدانية الخالق .

كما يعبر شكل المسلة عن هرم (بن بن) ذى الاضلاع الاربعة التى تمثل أركان الدنيا الاربعة وتتجه بشــكلها الهرمى نحو السماء مكونة قمة المسلة .. أما جسم المسلة فهو القائم الذى يحمل الهرم ليرتفع به ويســمو به ليربط الارض بالسماء .. كرمز للايمان .

أطلق المصريون القدماء اسم « تحن » على المسلة ومعناها « أصبع الشعاع المضىء » . وأطلق عليها مؤرخو الاغـريق اسم « أوبوليسكس » أى الوتد أو الابرة وهو الاسم الذى اشتهرت به فى الغرب وترجمه العرب الى « المســلة » أى الابرة .

وسجل التاريخ ما ارتفع فى سماء مصر بما لا يقل عن مائة وعشرين مسلة

أن تلك المسلات المائة والعشرين التي وقفت صـــامدة تقاوم الزمن الاف السنين تعبر عن عظمة مصر لم يبق منها على أرض مصر سوى خمس مسلات سقطت اثنتـــان منها وتركت مهملة فوق الارض تنتظر من يسرقهـــا والثـــلاث الاخرى معرضة للسقوط والانهيار ..

يقول هيرمان : في كتابه عن « سرقة الاثار » اذا أردت أن تشاهد عظمة مصر فانظـر الى مسلاتهـــا التي تعبر عن الخلود خلود الحضارة فى أسمى معانيها .

واذا أردت أن تشـــــاهد تلك المسلات فاذهب الى أى عاصمة من عواصم العالم المتحضر فستجد واحدة أو أكثر تتصدر أعظم ميادينها فيما عدا مصر صـــانعة الحضـــارة ومسلاتها التي تشرف على تسرب ما بقى لديها من أثارنا »

ويصـــبح التساؤل ضرورة ملحة ، كيف .. ومتى .. والى أين ؟ خرجت تلك الاثار ؟

● بداية هجرة المسلات :

بدأت هجرة مســـــلات الفراعنة الى خارج البـــلاد عام ٦٧٥ ق . م عندما قام أشور بانيبال بعد فتح مصر . بنقل مسلتين من مسلات أون (عين شمس) (ذكـر أن أحداها كانت تحمل اسم رمسيس الثاني والثانية تحمـل اســم سيتى الاول) لاقامتهما فى مدينة نينوى عاصـــمة ملكه الجديدة التي أسسها « سنجريب الاشورى » بعد استيلائه على بغداد واغراقها وتخريبها .

وأقام أشور بانيبال المسلتين فى الميدان المواجه لقصره العظيم الذى يتوسط عاصمة ملكه • كان ارتفاع كل مسلة ٥٠ قدما ومن قطعة واحدة من الجرانيت الوردى وكانت تكسو قمة كل منهما ألواح من معدن الالكترون البراق •

اهتم أباطرة الرومان بنقل المسلات المصرية الى روما عاصمة الامبراطورية ابتداء من عصر البطالسة وأقدم مسلة مصرية ظهرت فى القارة الاوربية هى التى حملها الامبراطور « أغسطس » عند عودته من مصر التى قام بزيارتها عام ٥٥ ق • م ونقلها لتتوسط مدينة روما بعد قيامه بتجديدها واعادة تخطيطها ونقش على قاعدتها باللاتينية بعض العبارات تبركا بالمعبودة المصرية «ايزيس» التىأطلق عليها الرومان اسم « سيدة العالم » وقد ذكر بعض مؤرخى الرومان انها لم تغتصب من مصر ولكنها صنعت خصيصا بأمره وفى عام ٢٥ ميلادية قام الامبراطور « كاليجولا » بنقل احدى مسلات تحتمس الثالث من عين شمس وأقامها فى ميدان القديس بطرس • وفى عام ٨٠ م نقل الامبراطور دوماتيان احدى مسلات رمسيس الثانى التى كانت موجودة فى معبد تانيس أثناء زيارته لمصر لوضعها فى بهو معبد ايزيس الذى أقيم تقديسا لسيدة العالم المصرية على شاطىء نهر التيبر فى روما •

وفى عام ١٣٠ م نقل الامبراطور هادريان مسلة من هليوبوليس الى روما عندماأصبح امبراطورا علىالاسكندرية وفى عام ٢٢٠ م نقل قنسطنطين الاكبر عاهل الدولة الرومانية أكبر مسلة فرعونية وجدها فى عين شمس لتكون أكبر من أية مسلة نقلها أباطرة الرومان من مصر • فنقلها من هيليوبوليس الى الاسكندرية رغبة منه فى ارسالها الى

بيزنطة لتجميل عاصمة ملكه الجديدة • لقد واجه محاولة نقل المسلة الضخمة الى بيزنطة عدة صعوبات فبقيت ٢٧ سنة في مكانهـا على شاطىء الاسـكندرية حتى قـام قسطنطينيوس ابنه عام ٢٥٧ م بنقلها الى روما حيث أمر باقامتها في ميدان مكسيموس •

ويحدثنا المؤرخون ان لعنة الفراعنة قد صحبتها من وقت نقلها من هيليوبوليس فلم يتمتع الامبراطور قسـطنطين برؤيتها تزين عاصمة ملكه وتبعت اللعنة ابنه فبعد المجهود الشاق الذى لاقاه في نقل المسلة من الاسـكندرية حتى وصلت الى روما وأرادوا الاحتفال باقامتها فاذا بها تتصدع فجأة عند محاولة رفعها •• وقرر لقسطنطينيوس أن يموت فى نفس السنة •• فتركت المسلة فى مكانها لم يجرؤ أحد على محاولة ترميمها أو نقلها من مرقدها •

وفى عام ١٥٨٧ م أى بعد مرور ٢٣٠ سنة كشف عنها ووجدت محطمة الى ثلاث قطع • فقام دومنيكو فونتانا بأمر من البابا (سكوتس الخامس) بترميمها واصلاحها واقامتها أمام القديس يوحنا باللاتيران كما أمر برفع الصـليب على قمتها كرمز على أنتصار المسيحية على الوثنية •

وتعتبر مسلة اللاتيران أكبر مسلة فرعونية نقلت خارج مصر حيث يبلغ ارتفاعها ١٠٥ أقدام ووزنها ٤٥٥ طنـا • وتعتبر تلك المسلة اخر المسـلات التى أقامهـا تحتمس الثالث ومات قبل أن يتمها • فقام باتمامها واقامتها حفيده تحتمس الرابع •

● أما مسلة القسطنطينية أو مسلة اسطنبول الحالية فليست لها علاقة بالمسلة التى أقامها قسطنطنيـوس التى سبق ذكرها ولكنها أيضا احدى مسلات تحتمس الثـالث

نقلها الامبراطور تيودورس من طيبة عام ٥١٠ م وهى فى الواقع تمثل الجزء الاعلى فقط من مسلة مماثلة أصلا فى الطول لمسلة اللاتيران ويبلغ الجزء منها حاليا ٨٥ قدما ٠

● مسلة روما :

وهى اخر المسلات التى اقامهـا سـيتى الاول عام ١٢٩٠ ق ٠ م ومات قبل أن ينقشها وقد أتمها ابنه رمسيس الثانى وقد نقلت الى روما فى أواخر عهد الحكم الرومانى وهى مقامة الان فى ميدان الشعب « بياتزا دل بوبولو »٠ فى وسط روما وهى أشهر وأجمل مسلاتها ٠

وتعتبر هذه المسلة ثانى مسلة فى روما تحمل اسم ملكين بعد مسلة اللاتيران ٠

لقد بدأت هجرة المسلات من مصر فى العصر الحديث الى عواصم الدول الاوروبية والامريكية فى بداية القرن التاسع عشر عندما هبت على أرض وادى النيل عاصفة هوجاء جمعت خليطا من علماء الاثار ومحترفى الحفريات وتجـار الاثار وخبراء سرقاتها وعصابات التهريب العالمية الذين يتخفى معظمهم تحت أسماء مختلف نوعيات الخبرة والذين تتستر عليهم الحكومات والمنظمات التى يعملون لحسابها ٠

فكانت أول المسلات التى اختفت من أرض مصر مسلة جزيرة فيلية المشهورة التى هربها « بلزونى » بمغـامرة خيالية حيث قام بسحبها من مكانها بالمعبد على ضرافيـل خشبية صنعها من جزوع النخيل حتى وصلت الى شاطىء الجزيرة حيث اختفت لعدة أيام بين عيـدان الغاب حتى وصلت سفينة خاصة أعدت لتهريبها ٠ فنقلت اليهـا فى

ظلام الليل لتبحر بها فى مجرى النيل متجهة الى رشيد • ومن رشيد حملتها احدى السفن ـ قيل انها احدى سفن الاسطول البريطانى •

ووصلت المسلة الى شواطىء انجلترا عام ١٩٢٠ لتقام فى ساحة قصر لنجزتون فى دورست ـ وهو المكان الذى اختاره لها دوق ولنجتون ـ الذى قيل بأنه كان له يد فى تهريبها •

وقام بلزونى بمغامرة أخرى أكثر اثارة عندما قام بنقل احد التماثيل الضخمة لرمسيس الثانى من معبد الرماسيوم ونقله الى لندن حيث تصـــدر القـــاعة الكبرى بالمتحف البريطانى •

● مسلة لندن :

احدى المسلتين اقامهما تحتمس الثالث أمام معبـد عين شمس ـ وقام المهندس الاغريقى بنيوس بنقلها بنـاء عن طلب كليوباترة لتزين بها مدخل معبد ايزيس بالاسكندرية فى خلال القرن الرابع عشر الميلادى سقطت احداهمـا من فوق قاعدتها ـ وهى المسلة التى نقلت الى لنـدن • وقـد أهداها محمد على باشا الى « الامة الانجليزية » عام ١٨٣١م بعد أن أدعى الانجليز بأنها قد أهديت اليهم عدة مرات من قبل ولكنهم لم يتمكنوا من نقلها • وقد بقيت بعد الاهداء الاخير ملقاة على الارض لصعوبة نقلها حتى عام ١٨٧٧ م وهو العام الذى نقلت فيه على يد السير « ارزمس ولسن »

فابتكر لنقلها عمل سفينة خاصة على شـــكل غلاف أو ماسورة توضع المسلة بداخلها واطلق عليها اسم كليوباترة

قامت بجرها باخرة ضخمة أسمها اولجا . وهكذا غادرت أولجا ميناء الاسكندرية تجر وراءها كليوباترة فى شهر يوليو عام ١٨٧٧ م .

وبعد خروج الركب الى عرض المحيط صادفته عاصفة اصطدمت بسببها الباخرة أولجا بصخور الشاطىء وفقدت عددا من رجالها بعدما أوشكت على الغرق أما كليوباترا فقد انفصلت عن أولجا وجرفتها الامواج وتصادف مرور باخرة بالقرب منها اسمها « فيتز موريس » اسرعت بانقاذها واوصلتها سليمة الى الشاطىء البريطانى .

وكان ذلك الحادث حديث الصحافة العالمية التى نسبته الى لعنة الفراعنة . كما نسبت نجاة كليوباترة الى العين الحارسة عين حورس المنقوش على المسلة وأخيرا تمت اقامة المسلة على شاطىء نهر التميز بعد أن أعد لها المهندسون برجين عملاقين من الحديد والاخشاب يمكن رفعها وخفضها آليا حسب الطلب يرتكز عليهما طرفا المسلة ويحملها من الوسط برج معدنى على محور متحرك يمكن بواسطته رفعها وتركيزها عموديا .. ولم تخل تلك العملية من الاخطار فقد اختل توازن المسلة عند رفعها مما أدى الى قطع الحبال التى تربطها وسقطت من فوق البرج الذى تصدع وأصيب بعض العمال ولكن المسلة نجت بأعجوبة ولم يصبها أى خدش أو ضرر مما زاد فى اعتقاد الناس بلعنة الفراعنة التى أصابت البرج والعمال والعين الحارسة التى أنقذت المسلة وحمتها . وقد استغرق نقل المسلة واقامتها مكانها اثنى عشر شهرا واحتفل بتدشينها فى يوم ١٥ سبتمبر ١٨٧٨ .

واشتهرت مسلة لندن باسم « ابرة كليوباترة » وهو

الاسم الذى اطلقه عليها الانجليزاعتقادا منهم بأن كليوباترا قد صنعت مسلتى الاسكندرية لتزين بهما معبد ايزيس ولم تسطو عليها من بين مسلات تحتمس وسـيتى ورمسيس بمعبد هليوبوليس ولم يكتشف ذلك الا بعد فك رموز اللغة الهيروغليفية وقراءة اسماء أصحاب المسلات على واجهاتها.

● مسلة باريس :

شيدها رمسيس الثانى أمام معبد الاقصر ١٢٨٠ ق.م وقام بنقلها المهندس الفرنسى ليباس عام ١٨٣٦ م .

وقد تم انزال المسلة التى يبلغ وزنها ٢٢٠ طنا من المعبد الى شاطىء النيل على زحافة خشبية ضخمة بحجم المسلة تحملها دعامات خشبية على الجانبين بعد أن تم دك الطريق وتغطيته بالشحم لتسهيل سير الزحافة التى يشبه شكلها شكل الزحافات التى استعملها الفراعنة ووجدت مصورة فى مقابرهم .

كما ذكر ليباس انه أستعمل فى كل مراحل نقل المسلة سواء على الارض أو رفعها الى السفن أو نقلها فى النيل نفس الوسائل التى لجأ اليها قدماء المصريين وقد أطلعه أحد علماء الاثار الفرنسيين على وثائقها .

وكان فى انتظار المسلة سفينة ضخمة اسمها (درومادير) تسندا جانبيها مجموعة من العوامات نقلتها من الاسكندرية الى الشاطىء الفرنسى .

وفى فرنسا استعملت الزحافة الفرنسية لنقل المسلة الى مكانها الحالى بميدان الكونكورد فى باريس .

وحتى يتمكن المهندس ليباس من اقامة المسلة وسط

الميدان اضطر الى اقامة قنطرة صاعدة تصل الى مستوى القاعدة التى تم بناؤها وسط الميدان واستعملت رافعة صممت خصيصا لاقامتها بواسطة شدها من قمتها وتثبيت وسطها لتدور حول محور أفقي حتى تصبح في وضع عمودي فوق القاعدة ٠

وقد تم الاحتفال بتدشين المسلة الفرعونية يوم ٢٥ اكتوبر عام ١٨٢٦ م في احتفال كبير رأسه الملك وشاهده مائتا ألف شخص ٠

لقد انتقلت الى باريس ثلاث مسلات أخرى قبل مسلة الكونكورد ٠ واحدة تتوسط ميدان الفونتابلو انتقلت مع نابليون أثناءالحملة الفرنسية ٠٠ والثانية فى « فنسان » والثالثة في « ارل » ونقل جميعها من ناحية الحجم والقيمة التاريخية عن مسلة رمسيس الثانى ٠

لقد انتقلت خارج البلاد من مسلات رعمسيس الثانى وحده خلاف مسلة باريس آربع مسلات أخرى واحدة منها فى روما وواحدة فى فلورنسا ٠

● مسلة نيويورك :

أرادت الولايات المتحدة أن تجارى كلا من انجلترا وفرنسا وايطاليا وتركيا فى تزيين ميادين مدنها الكبرى وعاصمة البلاد بمسلة من المسلات الفرعونية الخالدة ٠ فنقلوا المسلة الثانية من مسلتى ابرتى كليوباترة والتى كانت لا تزال قائمة فى الاسكندرية تطل على البحر ـ نقلوها الى نيويورك عام ١٨٨١ م أى بعد نقل مسلة لندن بثلاث سنوات ٠

ونقلت المسلة من موقعها بعد انزالها من على قاعدتها على زحافة كبيرة تتحرك على درافيل خشبية ثم وضعت داخل صندل بحرى على شكل ماسورة معدانية مغلقة لا تصل اليها المياه وتبقي عائمة مهما واجهها من أنواء وعواصف أو صادفها من كوارث ـ وقامت بجرها قاطرة بحرية ضخمة عبر المحيط حتي وصلت الى نيويورك على الشاطىء الامريكي وقد استغرقت رحلتها البحرية خمسة أشهر •

وفى نيويورك تم رفعها واقامتها على القاعدة التى أعدت لها باستعمال نفس ابراج الرفع والروافع التى استعملت في لندن بعد عمل الابراج بأكملها من الصلب •

هكذا نرى أن ما أقامه فراعنة مصر من المسلات الخالدة فى تاريخ العقيدة والعمارة والفنون ـ اختفت من أرض مصر التى نحتت من صخورها الجرانيتية بفكر وفن وسواعد ـ مبدعيها اختفت من فوق سطح أرضها وأفق سمائها لتنصب كالاعلام في العالم الجديد لتطل على ربوع القسطنطينية وروما ولندن وباريس ونيويورك وفلورنسا وعشرات البلاد والعواصم الاخرى بينما أرض الالهة وبلاد العقيدة والحضارة التى هاجرت منها تلك الاعلام ـ لا تحتكم على مسلة واحدة من بينها •

فمصر موطن المسلات التاريخية الاصلية وصانعيها لا تمتلك الا خمس مسلات تقل أهمية وشهرة وجمالا من تلك المسلات التى تعيش بعيدة عن أرض الحضارة والتاريخ التى نشأت فيها ولها •

فتلك المسلات اليتيمة الباقية التى تساقط بعضها ودب الانحلال فيما بقى قائما منها •• فى حاجة الى من يسرقها لترى النور فيبقى على حياتها أو حياة صفحة مجيدة وخالدة من صفحات تاريخنا التي نطأه بأقدام الاهمال !!

بعد أن أكلت البيضة ..
هــل تقــرأ هــذا ؟!

كل شم نسيم وأنت طيب !

وعيد شم النسيم الذى تحتفل به مصر ويشاركها العالم كله الاحتفال بنفس العيد الذى انتقل من مصر الفرعونية القديمة ـ مهد الحضارات ـ ليحتــل مكانه بين أعيــاد الشعوب الشرقية منها والغــربية • فالاعيــاد هى رمز الحضارة الانسانية ومقياس عراقتها فجميع اعيــادنا هى امتداد مصر القديمة فى مصر المعاصرة بكل ما وصل اليه وظل يصاحبنا عبر الزمان من عادات وتقاليد وطبائع لم يمح معالمها اختلاف العصور ولا تغير العقيدة •

وما من عيد من أعياد العالم المعروفة ســـواء عيد رأس السنة أو الاعياد الدينية أو أعياد الرياضة وأعياد النصر حتى عيد شجرة الكريسماس وعيد الام وعيد العلم الا كان لمصر السبق فى ابتكارها والاحتفال بها من ألوف السنين قبل ظهور الحضارات الانسانية فى العالم •

● بداية شم النسيم :

كانت أعياد قدماء المصريين ترتبط بالظــواهر الفلكيــة وعلاقتها بالطبيعة ومظاهر الحياة فقد كان احتفالهم بعيد الربيع الذى حددوا موعده بالانقلاب الربيعى ، وهو اليوم الذى يتساوى فيه الليل والنهار وقت حلول الشمس فى

برج الحمل . ويقع في الخـــامس والعشرين من شـــهر فارمنهات الفرعوني (برمهات) وكانوا يعتقدون كما ورد في بردياتهم المقدسة ان ذلك اليوم هو « أول الزمان أو بدء خلق العالم » كانوا يحددون ذلك اليوم والاحتفال به في « ليلة الرؤيا » أو لحظة الرؤيا عند الهرم الاكبر التي وصفوها بقولهم « عندما يجلس الاله على عرشه فوق قمة الهرم الاكبر » وهي الساعة السادسة تماما في ذلك اليوم حين يجتمع الناس في احتفـــال رسمي « أمام الواجهـة الشمالية للهرم حيث يظهر قرص الشمس قبل الغـروب وخلال دقائق معدودة وكأنه يجلس فوق قمة الهرم وتظهر معجزة الرؤيا عندما يشطر شعاع الشمس وظلالها واجهة الهرم الى شطرين .

وأطلق قدماء المصريين على ذلك العيد اسم « عيد شمو » ويعني بعث الحياة وعلى مر الزمن حرف الاسم الى عيد شم في العصر القبطي وكان العيد يعلن عن حضوره بنســمة الصباح التي ترسلها السماء الى الارض تحية واعلانا لبدء الربيع وبعث الحياة في الارض وكان القدماء يطلقون عليها اسم نسمة شم أو نسيم شم ومنها اتخذ العيـد اســمه المعروف به الان وهو « شم النسيم » ..

ويرجع بدء احتفال قدماء المصريين بذلك العيد رسـميا الى عام ٢٧٠٠ ق . م أى في بداية الاسرة الرابعـة نظـرا للاحتفال الرسمي الذى كان يقام عند الهرم الاكبر في يوم الرؤيا بينما يذكر بعض المؤرخين انه كان معروفا من عصور ما قبل الاسرات حيث كان يعتبر من أعيـــاد مدينة اون القديمة (هليوبوليس) أى عام ٤٠٠٠ ق . م .

ونقل اليهود عن المصريين عيد شم النسيم عندما خرجوا

من مصر فى عهد موسى عليه السلام وقد اتفق خروجهم مع موعد احتفال المصريين بعيدهم • وقد أشـــارت كثير من المراجع التاريخية الى ان اليهود اختاروا يوم شم النسيم بالذات للخروج من مصر حتى لا يلفت انشغال المصريين بعيدهم النظر اليهم أثناء هروبهم مع ما حملوه معهم •

واحتفل اليهود بالعيد بعد خروجهم ونجاتهم واطلقـوا عليه « عيد الفصح » (والفصح كلمة عبرية معناها الخروج أو العبور) كما اعتبروا ذلك اليوم أو يوم بدء الخلق عند القدماء المصريين بداية لتقويمهم العبرى وراسا لسـنتهم تيمنا بنجاتهم •

● يوم الاثنين دائما :

وهكذا اتفق عيد الفصـــح العبرى مع عيـــد شـــمو المصرى • ثم انتقل عيد الفصح بعد ذلك الى المســيحية لموافقته مصادفة مع موعد قيامة السيد المسيح •

وعندما دخلت المسيحية مصر أصبح عيدهم يلازم عيـد المصريين القدماء ويقع دائما يوم الاثنين ــ أى اليوم التالى لعيد الفصح أو عيد القيامة •

كان قدماء المصريين يحتفلون بعيد شم النسيم كمانحتفل به اليـــوم حيث يبـــدأ فى الليلة الاولى أو ليلـة الرؤيا بالاحتفالات الدينية والاعداد للاحتفال باســـتقبال شروق الشمس فى الطبيعة • ويعتبر عيد شم النسيم بمثـــابة الخلق الجديد للطبيعة فهو العيد الذى تبعث فيه الحيـاة ويتجدد النبات وتنشط الكائنات لتجديد النوع فتزدهر الخضرة وتتفتح الازهار وتزهر البراعم وتهب نسمة الربيع

وهى تحمل رسالة ميلاد الطبيعــــة بما تحملـه من أريج البراعم النامية والزهور المتفتحة • لذلك يخـرج النـاس جماعات الى الحدائق والحقـــول والمنتزهات ليكونوا فى استقبال نور الاله أو الشمس عند شروقها • وقد اعتادوا أن يحملوا معهم أطعمتهم الخاصة بالعيد ويقضوا يومهم فى الاحتفال بالعيد ابتداء من شروق الشمس حتى غروبها •

وكانوا أيضا يحملون معهم أدوات لعبهم ومعدات لهوهم والات موسيقاهم وتتزين الفتيات عادة بعقـود الياسـمين (زهر الربيع) ويحمل الاطفال والشبان زعف النخيـل المزين بالالوان والزهور فتقـام حفـــلات الرقص الزوجى والجماعى على أنغام الناى والقيثار ودقات الدفوف تصاحبها الاغانى والاناشيد الخاصة بعيد الربيع ، كمـا تجـــرى المباريات الرياضية والحفلات التمثيلية فى الهواء الطلـق وينتقل الاحتفال بشم النسيم بعد غروب الشمس الى دور السكن حيث تقام حفلات الاستقبال وتبادل التهنئة •

كان لشم النسيم أطعمته التقليدية المفضلة وما ارتبط بها من عادات وتقاليد أصبحت جزءا لا يتجزأ من الاحتفال بالعيد نفسه والطابع المميز له •

تشمل الاطعمة المميزة لمائدة شم النسيم المصرية القديمة البيض والفسيخ والبصل والخس والملانة ، تمسكت أعياد شعوب العالم بها أو ببعضها ولا يمكـن الاحتفـــال بغير وجودها •

● بيضة شم النسيم :

البيض الملون هو الرمز المميز أو الطعام التقليدى الذى

فرض نفسه ليتصدر موائد أعياد شم النسيم والفصح والربيع في العالم ٠

بدأ ظهور البيض على مائدة أعياد الربيع مع بداية احتفال الفراعنة بعيد شمو نفسه أو عيد الخلق ، حيث كان البيض يرمز الى خلق الحياة كما ورد في متون الاهرام وكتاب الموتى التي رمزت للحياة بالبيضة التي نفخ الاله فيها الروح فخرجت الكائنات الحية وكما ورد في أناشيد اخناتون « الله وحده لا شريك له ٠ خلق الحياة من الجماد فاخرج الكتكوت من البيضة » ٠

كما صورت برديات مصر القديمة الاله بتاح اله الخلق والتكوين هو يخلق الارض على شكل البيضة التى شكلها من الجماد ونفخ فيها الروح فدبت فيها الحياة — وهى اللوحة الشهيرة بالمتحف البريطانى التى أثبت بها العلماء أن الفراعنة كانوا أول من اكتشف أن الارض بيضاوية الشكل وليست كروية كما كان معروفا الى وقت قريب ٠

وهكذا ظهر البيض كأحد الشعائر المقدسة التى ترمز الى عيد الخلق أو عيد شم النسيم ٠

أما فكرة نقش البيض وزخرفته فقد ارتبطت بعقيدة قديمة أيضا وهى اعتبارهم ان ليلة العيد بمثابة « ليلة القدر » فكانوا ينقشون على البيض الدعوات والامنيات ويجمعونه في سلال من زعف النخيل الاخضر ويزينونها بالزهور ويتركونها في شرفات المنازل ونوافذها أو يعلقونها في أشجار الحدائق حتى تتلقى بركات نور الاله عند شروقه فيحقق أمنياتهم ويستجيب لدعواتهم ٠ ويبدءون العيد بتبادل التحية والتهانى « بدق البيض » وأكله وهى من العادات التى ما زال أكثرها متوارثا الى الآن ٠

وقد انتقلت عادة الاحتفال بعيد الربيع وتقـاليدا أكل البيض الى اسيا الصغرى وفلسطين قبل أن ينقلهـا اليهم اليهود فى احتفالهم بعيد الفصح وذلك مع فتوحات تحتمس الثالث عام ١٤٥٠ ق ٠ م عندما تصادف حلول العيد أثناء وجوده مع جنوده فى « مجدو » المشهورة فاحتفلوا بالعيدين فى وقت واحد ونقشوا على البيض شكرهم للاله على نصره لهم وأرسلوا بعض البيض الى ذويهم فى أرض مصر ٠

كما وجدت فى بعض الوثائق القـديمة التى وجـدت بفلسطين ما يشير الى أن جنود رمسيس الثانى احتفلـوا بعيدهم المقدس أو عيد شمو الذى يشاركهم فيه أهل البلاد عام ١٢٥٠ ق ٠ م

أما عادة تلوين البيض بمختلف الالوان وهو التقليـد المتبع فى جميع أنحاء العالم فقد بدأ فى فلسطين بعد صلب المسيح الذى سبق موسم الاحتفال بالعيد فاظهر المسيحيون رغبتهم فى عدم الاحتفال بالعيد حدادا على المسـيح وحتى لا يشـاركون اليهود أفراحهم ولكن أحد القديسين الذين حملوا تعاليم السيد المسيح أمرهم بأن يحتفلـوا بالعيـد تخليدا لذكراه لانه تصادف مع تاريخ قيامه على أن يصبغوا البيض باللون الاحمر ليذكرهم دائما بدمه الذى سـفكه اليهود ٠

وهكذا ظهر بيض شم النسيم مصبوغا باللون الاحمـر وكان البعض يزخرفونه بالنقوش الحمراء والسوداء التى تحمل تعاليمه المقدسة والادعية أسوة بنقـوش البيض الفرعونية ٠

وانتقلت تلك العادة الى مصر مع زيارة القديسـين لمصر قبل انتقالهم منها الى روما حيث بدأ الاقباط بالحفاظ عليها

وتعميمها بجانب ما توارثوه من الرموز والطلاسم والنقوش الفرعونية . ومن مصر انتقل عيد الفصح الى روما وأوربا حاملا معه تقاليده وشعائره ورمزه المميز .. البيض الملون وفي أواخر العصور الوسطى وبدء عصر النهضة فى أوروبا إبتدأت مختلف الالوان تدخل فى تلوين البيض وزخرفته ونقشه وأصبح البيض الملون هو الطابع المميز لاعياد شم النسيم والفصح فى جميع أنحاء العالم .

الكاتب المصرى !!

قدمنا « الكاتب المصرى » الى قراء العربية وقراء الأدب العالمى من خلال أدب قصة على انه المؤلف الحقيقى لأشهر روائع الادب العالمى الخالد • التى سرقها العالم ونسبها الى نفسه •

ذلك الكاتب « الجالس القرفصاء » •• الذى لم نكن نعرف عنه أكثر من انه تمثال من الحجر يحمل رقما بلا اسم •

فى كل يوم تكشف البرديات المتناثرة والضائعة بين مخازن المتاحف أو حفريات الاثار أو غياهب المقابر المطمورة فى رمال الصحراء •• تكشف عن عظمة ذلك الكاتب الصامد فى جلسته خلال سبعة الاف عام أو أكثر •

ولد الكاتب المصرى مع مولد الحضارة المصرية فكان أول من سجلها فخلدها أو كما وصفه الكاتب المؤرخ أميل لودفيج انه ولد مع مولد الزمان فشاهد مولد الحضارة •

مصر هى الحضارة •• والمصرى القديم هو أول من شق طريقها كانت طبعات اقدامه على ذلك الطريق هى الاثار التى اقتفتها الحضارات الانسانية جميعها فى مختلف عناصر تكوينها من عقيدة ومعرفة وعلوم وفنون •• وأداب

كان المصرى أول من أمسك بالقلم •• صنعه من عيدان غاب النيل ليسجل أفكاره ويكتب تاريخ بلاده أول من اصطنع ورق الكتابة من نبات البردى « بابيور » فاعترف له العالم بفضله فأطلق على الورق بجميع أنواعه وفى جميع اللغات نفس الاسم •

كان أول من اخترع حبر الكتابة من عصير نبات النيلة التي نسبها أيضا الى النيل المقدس ·· الذى أمده بالقلم والورق فكان « الكاتب المصرى » أول من كتب ·· وأول من قرأ · خط لنفسه ابجدية ·· أول أبجدية في الوجود جمعت بين الفن والعلم والادب · جعل من الكتابة فنا جميلا ومتحررا · رسم كتابته من اليمين الى الشمال · ومن الشمال الى اليمين في وضع رأسى أو أفقي كما يمليه عليه احساسه بالفن وبالجمال وترك للعالم الذى ولد بعده بألوف السنين ليختار ما يوافق لغته واحساسه ، وهو ما ظهر في مختلف لغات العالم القديم والحديث التى رأت النور ·

كانت ابجديته العتيقة أما ابجدية فردية تتكون من ١٦ حرفا كل صوت ينطق بصوت واحد · وأما ابجدية مزدوجة ينطق رمز بصوتين · وأما ابجدية مثلثة يعبر كل شكل عن ثلاثة أصوات · ووضع لكتابة ابجديته ثلاثة خطوط وثلاث لهجات :

- الخط الهيروغليفى (هيرو ·· غليفوس) النقش المقدس ·
- الخط الديموطيقى (النقش الشعبى) ·
- الخط الهيراطيقى (النقش الكهنوتى) ·

فسجل بالخط الهيروغليفى افكاره المقدسة وأسرار المعرفة ومعتقداته وبالخطين الديموطيقى والهيراطيقى كتب احاديثه وأدبه وقصصه واشعاره وأغانيه وأساطيره وشعره وأغانيه ·

أن صوت الناس يفنى ولكن صوت الكاتب يعيش أبد الدهر !!

"من برديات قدماء المصريين"

تراث مصر ملىء بالافكار الجميلة والرائعة حول الكلمة وشرف القلم • بل ان المصرى القديم حرص على وضع ميثاق شرف للكاتب المصرى •

ونقدم فى هذا الموضوع صورة من تراثنا عن منزلة الكاتب ووضعه فى المجتمع ونقدم ميثاق الشرف الذى عاش به كل كتاب العالم الكبار الذين يحترمون أنفسهم ويحملون الكلمة التى يكتبونها •

الادب المصرى القديم هو أقدم أنواع الادب • يتميز بأصالته بحكم توغله فى القدم •• كانت شخصيته القوية وطابعه المميز الذى كان انعكاسا لظروف البيئة فى الزمان والمكان • واستجابة مباشرة للعوامل الفكرية والاجتماعية والدينية والتاريخية •• تلك العوامل التى حددت مفاهيمه وألهمت مواضيعه وحددت أساليبه •• فكان انتاجه الخلاق الذى وضع الاساس الذى اهتدى به الادب فى العالم القديم وترك بصماته على الكثير من عناصر الادب العالمى الحديث

فالكاتب المصرى كان أول من أمسك بالقلم فى تاريخ البشرية •• رأى مولد الزمان فسجله •• عاصر أول تجربة لبناء الحضارة فدونها ، فكان أول من كتب التاريخ ، وخلد بقلمه تراثه الفكرى •

بدأ بأدب السماء التى وهبته نعمة الكتابة وأمدته بالحرف والكلمة وعلمته كيف يمسك بالقلم وتدرج منه الى الحكمة وأدب تعاليم العقيدة مرورا بأدب الاساطير وأدب

القصة لشرح الواقع بالخيال ليوقظ أحاسيس المجتمع ويقرب من قلبه .. فكان أول من كتب الشعر وغناه والادب وصنفه والقصة ورواها ..

كان أول من كتبَ للمسرح ليضفي الحياة الى ما يكتبه وأول من ابتدع الادب التصويرى المصور .. فجعل من الادب فنا جميلا ومن فنون كتابته وأساليبها مادة لذلك الفن ..

خاض بفنون أدابه جميع جوانب التجارب الانسانية وفتح آفاقا جديدة للادب .. فكان سخيا فيما قدمه عبر تاريخه الطويل وما خلفه من تراث فكرى خالد ..

كان للكاتب المصرى أو « حامل القلم » كما وصفه الفراعنة القدماء مركز ممتاز في المجتمع .. كانت مهنة الكتابة من المهن المرموقة التى تصل فى بعض مراتبها الى درجة التقديس .. كان لكاتب الادب أو كاتب المعرفة النصيب الاكبر في ادارة دفة الامور وتصريفها سواء فى قصر فرعون أو دور الحكم أو بيوت العمالة .. كان الوزير الاول يسبق أسمه عادة لقب الكاتب .. فكانت الكتابة ومهنتها حلم الكثيرين حيث تفتح لهم افاقا واسعة ..

بمراجعة تاريخ حياة الكثير من العظماء نجد أنهم بدأوا حياتهم بمهنة الكتابة فوصلوا عن طريقها الى مناصب هامة فى الدولة وكثيرا ما كان أبناء فرعون نفسه وخاصة ولى عهده الذى سيرث العرش ، يسعون للحصول على لقب كاتب المعرفة المقدسة التى كانت تسبق ألقابه الملكية المتعددة عند جلوسه على العرش ..

ولعل أكبر مثل لاعتزاز العظماء الكبار المسئولين فى الدولة بلقب الكاتب أن كثيرا من رجال الدولة والفنانين

والمهندسين والاطباء ورؤساء الكهنة والقواد العسكريين كانوا يضيفون الى القابهم لقب الكاتب ٠٠ كما خلد البعض أنفسهم بأن نحتوا بعض تماثيلهم على شكل الكاتب الجالس حامل القلم ٠٠

وكانت شواهد الاحوال في الدولة الحديثة تدل على المكانة العظيمة التى وصل اليها الكتاب وحاملو القلم الذين قربهم ملوك الفراعنة الى العرش وعهدوا اليهم بأخطر أعمال شئون الدولة ووصلوا الى أرقى وظائفها وأطلق عليهم لقب « كتاب الفرعون الحقيقيين » وكانت تسجل أسماؤهم فى « لوحات الشرف » بالقصر « ولوحات الخلود » بالمعبد ٠٠

وقد ورد فى لوحة الخلود فى عهد رمسيس الثانى أسماء خمسين كاتبا كان الملك يخلد كل كاتب بصنع تمثال له تنقش عليه ألقابه وأعماله ٠٠ ولا يخلو متحف من المتاحف العالمية المشهورة من تمثال أو أكثر من تماثيل الكاتب المصرى ٠٠

ومن أشهر تماثيل « الكاتب المصرى » الذين خلدتهم البلاد فى عهد رمسيس الثانى ٠٠

تمثال الكاتب « خاعى » (كاتب الفرعون الحقيقى ومحبوبه) وتمثاله محفوظ بالمتحف المصرى ٠٠

والكاتب « وى نفر » (كاتب الفرعون الاول وحافظ أسراره) ٠٠

والكاتب « باتحسى » (الكاتب الرسمى المشرف على المالية والتموين) وكتب اسم الملك على كتفه كوشاح للتكريم « المتحف البريطانى ٩ » ٠

« ومن مس كانرا » (كاتب الملك وكاتب الاسرار فى مكان الصدق ويحتفظ بتمثاله متحف اللوفر) ٠

والكاتب « ثيا » كاتب فرعون المحبوب ومعلم جلالته وحافظ أسرار المعرفة (متحف برلين) ..

الكاتب « سا است » (معلم مرنبتاح بن رمسيس .. الناطق بالحكمة) وقد صنع الملك له تمثالا من البازلت كتب على ظهره .. ان من يعتدى على تمثاله أو يصيبه بسوء تنزل عليه لعنة الالهه ويحتفظ بتمثاله (متحف فيينا) .

والكاتب « مرى بتاح » كاتب وثائق الملك الصادق الامين محبوب تحوت (اله المعرفة) وماعت (معبود الحق والصدق والعدالة) وقد صنع له فرعون لوحة يظهر فيها الملك وهو راكع أمام الاله وكتب فوقه ..

« انى أقدم التحيات والدعاء لرع لأجل روح الكاتب الامين « مرى بتاح » صادق القول وسيد الاحترام له الحياة الخالدة والفلاح والصحة .. والدعاء لا وزير لاجل روح الكاتب العظيم » .

كما يحتفظ المتحف البريطاني بتمثال الكاتب والشاعر المشهور « بنتاور » الذى نسخ ملحمة رمسيس فى معابده العظيمة .. ومن بين تماثيل كل من الكتاب ريا وكاثا وبن تستاوى وامن ابت وغيرهم .. كما كان من بين وسائل تكريم الكتاب أن يخلع الملك اسمه ليضاف الى أسمائهم كما هو الحال فى أسماء الكتاب رعمسيس نختو ورعمسيس حورا ورعمسيس انانا ..

لقد تنافس ملوك وحكام الدولة الحديثة فى مختلف وسائل التكريم للكاتب المصرى فأقاموا ما أطلق عليه « عيد المعرفة » وهو ما يشابه « عيد العلم » اليوم فكانت تحفظ أعمال الكتاب المرموقين ضمن مقدسات المعابد وتدرس أعمالهم الادبية فى المدارس وتنشد أشعارهم وتردد

أغانيهم في الحفلات والندوات ويتبارى الرواد والسمار في سرد ملاحمهم الادبية وقصصهم الاسطورية التي كانوا ينسبون في بعضها أسماء أبطال الروايات الى أسماء الكتاب أنفسهم واحتلت مكانها في القصص الشعبي الذى توارثته الاجيال كما تحول البعض منها الى تمثيليات تعرض في المعابد والمسارح الشعبية فى الاعياد ..

● اشرف مهنة !!

ان الكثير من النصوص القديمة تبين مكانة الكاتب في المجتمع المصرى القديم من بينها بردية الحكيم سنب حتب التي يوصي بها ابنه بقوله :

ـ أعد نفسك لتكون كاتبا وحاملا قلم المعرفة .. انها اشرف مهنة واجل وظيفة تليق بك وترفع شأنك وتقربك من الاله فيوم أن تنادى شخصا واحدا يلبى نداءك ألف شخص فتعلو بقلمك على رءوس الاخرين ..

ان ما يخطه قلمك سيعيش أبد الدهر ويكون أكثر خلودا مما ينقشه الاخرون على الحجر الصلب لانه سيعيش في قلوب الناس ورءوسهم فلا تمتد اليه يد العبث أو التخريب .. تعلم كيف تحرك أصابعك القلم وكيف يحرك عقلك أصابعك فلا يخط قلمك الا الحكمة والمعرفة وما ينفع الناس .. اجعل ملف البردى وأدوات الكتابة أصدقاءك ستجد أنهم أوفى الاصدقاء وأخلص الندماء ..

ستزيدك الكتابة بما هو أجمل من ملابس الكتان وعطور اللوتس ان ما يخطه قلمك هو أعظم ميراث لا تعبث به يد الطامعين وأثمن من أرث فى أرض ناحية الشرق أو مقبرة

ناحية الغرب ان الكتابة مهنة مقدسة تقربك الى الاله الذى منحك العقل والقلم وتقربك من فرعون والنـاس فتجعلك حبيبا للجميع ، وقريبا الى قلوب الجميع .. فغذاء العقل الذى تقدمه للناس باق ، أما غذاء البطــون الذى تقدمه يعطيه لهم الغير لا يدوم (برديات شـــتربتى ــ المتحـف البريطانى) .

ومن أقوال رع حتب فى وصف أدب الكتــابة قـوله « الكتابة تجعل الكاتب أسعد من امرأة وضعت طفلافالكتابة كميلاد الطفل الذى يعوض الام أضعاف ما تحملته من الام فى حمله وولادته ، فلا تشعر بأى تعب وهى تقوم لترضعه وتعطى ثديها لفمه كل يوم .

فرح هو قلب الكاتب الذى يزداد شبابا كل يوم .

فرح وهو يسترد أضـــــعاف ما أعطى .. من حبهم وتعظيمهم له وتقديسهم لاعماله » ..

ومنها بردية الكاتب « امون من » حافظ سجلات فرعون « كن كاتبا » .. حتى يريح عقلك اجهاد جسمك كن كاتبا .. لتصبح سيد نفسك ولا تكن تحت أمرة أسياد كثيرين .

كن كاتبا فتنعم عليك الالهة بحاسـة جديدة مقدسـة تضاف الى حواسك الخمس .. حاسة تميزك عن الاخرين فترى مالا يراه الاخرون .. وتسمع ما لا يسمعه الاخرون

سترى وتسمع بعقلك وقلبك عالم ما وراء الطبيعـــة ستتمتع بشهوات عقلك فتسعد قلبك .

ومن كان قلبه سعيدا أسعد الاخرين ..

ومن رسالة الحكيم انى لابنه « فلتكن أمنيتك أن تصبح كاتبا فالكتاب أعطى رزق تسعى اليه » .

وأعظم هبة يهبها الاله لمن يسعى اليه .

الكتاب أعظم قيمة من مسكن الحياة حيث تشرق الشمس .

وأبقى خلودا من مقبرة حيث تغرب الشمس .

انه أجمل وأمتع من قصر فى البستان

أو لوحة دعاء فى هيكل معبد الاله

هل بيننا من يضارع زدفرا ؟

هل بينكم من يتساوى مع أمحتب ؟

هل فى عصرنا من هو مثل نفرى واختى أو بتاح جونى وكاخبر وهم أعظم العظماء الذين تتطلع اليهم الانظار وتنخفض أمامهم الرءوس هل بينكم من يقول انه مثل بتاح حتب أو كاترس » .

وتستمر الرسالة فى سرد أسماء كثير من الادباء وأعلام القلم فى مختلف نواحي الادب .. وجميع تلك الشخصيات التى ورد ذكرها فى البردية ليست غريبة على التاريخ فزدفرا هو أحد أبناء الملك خوفو وكان أديبا وشاعرا ويحمل لقب كاتب من معبد منف وأمحتب مهندس الملك زوسر وكانت ألقابه تجمع بين الهندسة والطب والكتابة والادب وبتاح حتب عاش فى عهد الملك أسيسى وكان من أعظم كتاب الحكمة فى عصره .

ويعتبر التاريخ هذه المجموعة أو القائمة من الكتاب فى مقدمة الادباء المحترفين وكانت أعمالهم الادبية وتخصص كل منهم فى ناحية من نواحى الادب موضع تقدير وتعظيم عند قدماء المصريين ابتداء من الاسرات الاولى والعصر العتيق مرورا بالدولة القديمة والدولة الحديثة .. ويعتبر بعض المؤرخين تلك البردية كلوحة من « لوحات الشرف أو لوحات الخلود » التى كانت تعبر فى أعياد الادب تخليدا ذكرى الكتاب والادباء حتى يستمر حضورهم وحياتهم .

● اعفاء من الضرائب !

وفي احدى برديات الاسرة التاسعة عشرة وجد نص ملكي أصدره الملك سيتى الاول باعفاء الكاتب والاديب من الضرائب والجزية ·

كما وجدت بردية أخرى من عهد رعمسيس الثالث تضيف الى اعفاء الكاتب من الضرائب بأنواعها صرف معاش للكاتب والاديب حتى يتفرغ لعمله ولا تشغله مطالب الحياة عن القيام بعمله المقدس وقد اشتمل النص فى بعضها الى اقطاع أرض مغلة أو مسكن خاص للكاتب كما نص بعضها على تأمين تموينه بحصة ثابتة من مخازن الدولة ·

وينعكس ذلك على النصائح التى يقدمها الحكيم انى لابنه فى احدى برديات بريس بالمتحف البريطانى ونصها·

« عليك بالكتابة ·· فالكتابة مهنة مقدسة يا بنى ول وجهك نحو الكتاب ·· ولا توله نحو الحقل فمهنة الكتابة اشرف المهن وأعلاها ، تعلو بصاحبها فينال احترام الجميع

ويتقرب اليه الجميع ·

فالكاتب فوق كل شىء ومن يتخذ الكتابة صناعة لاتفرض عليه ضرائب ولا يدفع جزية ويؤمن الاله معاشه لا تنس أن قلمك هو سلاحك الذى يحميك من أعدائك فلا تعره لغيرك حتى تفقده أو يستعمل ضدك كن كاتبا ·· فالكتابة ترفع رأسك فوق رءوس الناس وترفع رءوس الناس نحوك بالاحترام والتعظيم » ·

لقد رفع كثير من الحكماء أمثال بتاح حوتب وانى وسنب حتب وأبيوور مكانة الكاتب المصرى وقلمه فى أقوالهم المأثورة وحكمهم الخالدة من بينها :

● ان صوت الناس يفنى ولكن صوت الكاتب يعيش أبد الدهر .

● القلم سلاحك الذى وهبك الاله اياه وخصك به وميز به مكانتك بين الناس فاحتفظ به نظيفا ولا تعره لعدوك ولا تدع يدا تحركه غير ضميرك .

● لينطق قلمك بالحق ولا يخط الا الصدق بما يفيد الناس ويرضى الالهة .

● ان من يخرس صوت القلم يخرس صوته الى الابد .

● صوت القلم هو أعلا الاصوات لانه صوت الحق .

● الكتابة حاسة مقدسة يهبها الاله للكاتب لترفعه فوق الناس فيرى ما لا يرون ويسمع ما لا يسمعون .

● ان من يغرق صوت القلم بقوة ساعده سرعان مايغرق هو ويطفو صوت القلم على السطح .

● قلم الكاتب .. طائر يحلق فى الافاق العالية فيرى ما لا يراه الغير ويصدح بما يراه وينقله الى من فى الارض

● مؤهلات الكاتب وثقافته !

ان لقب الكاتب من الالقاب العلمية التي يحصل عليها حاملها من « بيت الحياة » الملحق بالمعبد .. وهو بمثابة جامعات العلوم والاداب والفنون في العصر الحالي .. وفي تلك الجامعة يدرس الطالب ويتخصص في مختلف النواحي الادبية واعلا مراتبها المعرفة المقدسة وهو كتاب العقيدة واللاهوت والعلوم الفلسفية التي أطلقوا عليها اسم « أسرار الوجود » ويليهم كتاب الوحي أو الحكماء وهو كتاب تعاليم الحكمة وما ارتبط بها من تدوين التشــــاريع والوثائق التاريخية .

ثم كتاب الأدب الاجتمـــاعي وهم كتـــاب أدب القصة بأنواعها وتدوين الاخبار والاحداث ليتناقلها الشعب . ثم كتاب الشعر والاغاني وكانوا يجمعون بين الكتابة والعزف على الالات الموسيقية .. ثم الكتاب العموميون أو الشعبيون الذين يعملـــون في الوظائف الحكـــومية أو في خدمة الشعب وتقتصر ثقافتهم على القـــراءة والكتـــابة وتدوين المستندات ولا تدخل ثقافتهم ضمن المؤهلات الجامعية .

لقـــد عبـــر قـــدماء المصريين عن الكاتب وهو يجلس القرفصاء وقد نشر على ساقيه ملفا من ملفات البردي وهو يمسك بطرفه باحدى يديه كي يطوى ما تم كتابته ويمسك بالاخرى أدوات الكتابة من دواة الحبر الأســـود والاحمر وأقلام البسط (الغاب) وكان الكاتب يظهر عاري الرأس دلالة على أنه كاتب عمومي أو شـــعبي ليقـــوم بتدوين المراسلات والوثائق والعقود وحساب المحاصيل والمنتجات لعامة الشعب ..

أما الكاتب الرسمي أو الحكومي المؤهل فكان يميز عن الكاتب العمومي أو الرأس ٠

أما الاديب وكاتب المعرفة والحكمة فقد رمزوا له بالكاتب الجالس وقد استوى على كتفيه قرد وهو رمز الاله تحوت « اله الحكمة والكتابة والوحي » والذى ذكر من صفاته انه يبتدع الكلمات ويجلس فوق رأس الكاتب لتحميه ويوحي اليه بالافكار التى يسطرها وفى بعض الامثلة يظهر الاله تحوت على شكل الطائر (أبو منجل) « أيبس » وهو يقف أمام الكاتب الجالس كالمعلم أمام التلميذ ليلقنه « وحي الفكر والكلمة والحكمة » ٠٠

أما الكاتب كاتم الاسرار فرمز له بالكاتب الجالس الذى يخفى جسمه وساقه رداء نقش عليه ما يرمز الى قدسية ما يحافظ عليه من أسرار ٠

وكاتب المعبد الذى يحتفظ بأسرار الوجود ومتون العقيدة فقد ظهر فى عدة أوضاع منها حامل القلم المقدس على شكل صولجان يحمل رأس أحد الالهة التى تحمى المعرفة المقدسة ٠٠

ولما كان الكاتب العبقرى ينسب أعماله من الخلق الادبي الى الوحي فقد نسب كل كاتب ما يوحي اليه بانتمائه الى اله أو معبود خاص من الهة المعرفة المقدسة فنسبوا الى « تحوت » المعرفة المقدسة والحكمة الخالدة والى أمحتب بعد تقديسه ورفعه الى مرتبة الالهة ونسبوا اليه الطب ومجموعة من فنون الادب وكانت المعبودة « حتحور » ربة الحب والجمال هى التى يستمد منها وينسب اليها أدباء قصص الحب وشعراؤه ما ينزل عليهم من وحي وما يقدمونه

من عمل خلاق وينسب كتاب أدب العدالة والتشــاريع انفسهم الى المعبودة « ماعت » الهة الحق والصدق والعدالة وهكذا ..

وكان الكاتب أو الاديب فى كل فن من الفنــون وكل ناحية من نواحى الادب يحتفظ فى بيته أو فى محراب عمله بتمثال لالهة الوحى ويقدم لها القرابين عن كل ما يقوم به من عمل خلاق أو انتاج أدبى خـالد ، كما كان يحمـــل تميمتها لتحميه وتوحى اليه بالكتــابة أو .. المعـــرفة المقدسة ..

رأس السنـــة عـام ٥٥٥٧
قبــــل الميــــلاد !!

« التقويم » هدية كليوباترا الى يوليوس قيصر
الفراعنة علموا العالم تبادل الانخاب
ديك الكريسماس كان أوزة أحمس

اليوم تحتفل مصر بعيد رأس السنة ٠٠ وأعياد الميلاد يشاركها العالم أجمع فى احتفالاتها بأعيـــادها ٠٠ تلك الاعياد التى أهدتها مصر لجميع شعوب الانسانية ٠٠

فى مقدمة أول الاعيــاد التى عرفتهـــا البشرية والتى أجمعت جميع الشعوب على الاحتفال به هو « عيـد رأس السنة » ٠٠

أو العيد الذى عرفت به الشعوب التقويم ٠٠ أو حساب الزمن الذى جدد أعمارهم وبه كتبت تاريخها ٠٠

فالتقويم المصرى القديم أو التقـويم الشمسى هو أول وأقدم تقويم عرفته البشرية وخرج من « أون » عاصـمة مصر الدينية الاولى وساير موكب الحضارة من خمســـة وسبعين قرنا من الزمان ٠٠

فشغف شعب مصر بالنيـــل ـ نهر الحياة ـ دفعه الى رصد موعد فيضانه ٠٠ وجد أن أول بشائر المياه السمراء أو فيض الخير الذى يحمله النيل ويجلبه معه من منبعه فى الجنة الى أرض مصر المقدسة ٠ تظهر مع مطلع نجم ثابت معين يبدو ويشرق بوضـــــوح فى ســماء معبـد أون (هيليوبوليس) فى نفس اللحظة التى تشرق فيها الشمس وهو نجم « سبدت » أو سيروس (الشعرى اليمانية)وهو

أول مجموعة من النجوم المعروفة باسم الكلب الاكبر . وبعد قيامهم بمراقبة ذلك النجم ورصده عدة سنوات توصلوا الى تحديد طول دورته الفلكية أو الدورة الشمسية بدقة متناهية فحددوا طولهاأو طول السنة الشمسية ٣٦٥ يوما وخمس ساعات و ٤٩ دقيقة و ٤٦ ثانية (أى بفارق يوم كل ١٢٨ سنة) .

كانت تلك الدقة فى حساب الزمن من المفاجآت التى أعلنها أحد علماء الفلك الالمان من بضعة سنوات عندما أعلن بالحسابات الفلكية الالكترونية الحديثة صحة تلك النتيجة المذهلة التى توصل اليها المصريون القدماء فى حساب الزمن وعلاقته بدورة الفلك .. أطلق الفراعنة على ذلك التقويم اسم التقويم الكهنوتى ووصف بالتقويم الرباعى أى أن السنة ٣٦٥ يوما وربع تضاف الارباع الى السنة الرابعة لتصبح ٣٦٦ يوما وهو التقويم المعمول به فى العالم أجمع ..

كما كان المصريون القدماء أول من قسم الزمن فقسموا السنة الى ١٢ شهرا والشهر الى ثلاث ديكانات والديكان عشرة أيام واليوم الى ٢٤ ساعة والساعة الى ٦٠ دقيقة والدقيقة الى ٦٠ ثانية .. انتقلت من مصر الى العالم أجمع فى مختلف العصور .. ولم يجد العالم لها بديلا ..

● تحوت رسول المعرفة !!

كما أطلقوا أسماء على شهور السنة الاثنى عشر وأيام الاسبوع العشرة بل وضعوا أسماء الساعات الليل والنهار نسبوها للالهة الحارسة للزمن .. واكتفى العالم الحديث بأسماء الشهور والايام . نسب الكهنة نزول التقويم الى المعبود تحوت رسول المعرفة المقدسة فأطلقوا على التقويم

الرسمي الذى أعلن على الشعب بالتقويم التحوتي كما ورد فى قوائم المؤرخ المصرى القديم « مانيتون » وذلك فى العام الاول من حكم الملك حورعها (الويتسى) ابن الملك مينا مؤسس الاسرة الاولى فبدأت السنة الاولى فى التقويم عام ٥٥٥٧ ق ٠ م وتوافق بداية العام المصرى أى عيد رأس السنة اليوم التاسع عشر من شهر يوليو فى التقويم الميلادى الحالى ٠٠

وهكذا شاهد العالم أول احتفال بعيد رأس السنة من ٧٥٣٩ سنة فى مصر الفرعونية وأقدم مظهر من مظاهر حضارة المجتمع الانسانى ٠

انتقل الاحتفال بالعيد من مصر الى حضارات الشرق خلال الدولتين القديمة والوسطى مع فتوحات الغزو المتبادل وانتقل معه التقويم الشمسى ليحل محل التقويم القمرى الذى كان سائدا عند مختلف الشعوب الاسيوية ٠

كما نقله اليهود عند خروجهم من مصر ليظهر التقويم العبرى الذى بدأوا الاحتفال به بعد خروجهم من مصر وانتقل التقويم الشمسى المصرى عبر البحر الابيض الى أوروبا عندما أهدت كليوباترة التقويم المصرى وحساب الزمن الى يوليوليوس قيصر وكلفت العالم المصرى « سوسيجين » بجامعة الاسكندرية لنقل التقويم المصرى للرومان ليحل محل تقويمهم القمرى وأطلقوا عليه اسم التقويم القيصرى واحتفلت روما رسميا بأول أعياد رأس السنة عام ٤٥ ق ٠ م ٠٠

عملت روما والبلاد الاوروبية التى حولها بالتقويم القيصرى والاحتفال بعيد رأس السنة عدة قرون ثم قام بتعديله البابا جريجورى الثالث عام ١٨٥٢ وهو التقويم العالمى الحالى وهو فى جوهره عمل مصرى صميم أهداه

الفراعنة للعالم كله. ومع انتقال التقويم الشمسى والاحتفال برأس السنة من مصر الى مختلف الشعوب الشرقية والغربية انتقلت معه ما ارتبط بالعيد من عادات وتقاليد وشعائر مصرية قديمة لتحتل مكانها في أعياد الشعوب ..

اتخذ الاحتفال بالعيد خلال الدولة القديمة مظهرا دينيا فكانت تقاليد الاحتفال تبدأ بنحر الذبائح كقرابين للاله وتوزع لحومها على الفقراء لمشاركتهم فى الاحتفال بالعيد وكان سعف النخيل من أهم النباتات المميزة لعيد رأس السنة حيث كان سعف النخيل الاخضر يعبر عن الحياة المتجددة كما أنه يختلف عن بقية النباتات بأنه يخرج من قلب النخلة ويمتد نحو السماء بما يشبه الاذرع التى ترتفع بالدعاء ـ فكانوا يتبركون به ويصنعون منه ضفائر الزينة التى يعلقونها على أبواب المنازل كما كانوا يحملون باقات السعف ليضعوه على المقابر فى العيد ويوزعون ثماره الجافة صدقة على أرواح موتاهم ـ وما زالت تلك العادة من التقاليد الموروثة التى لم يطرأ عليها تغيير حتى يومنا هذا ..

كما كانوا يصنعون من سعف النخيل أنواعا مختلفة من التمائم والمعلقات التى يحملها الناس فى العيد على صدورهم وحول أعناقهم كرمز لتجديد الحياة مع مطلع العام الجديد وحفظها من العين الشريرة وكان الشباب يحملون سعف النخيل فى رقصاتهم الجنائزية ورقصاتهم الشعبية الجماعية وممارسة بعض أنواع الالعاب الرياضية ومبارياتها الخاصة بالعيد ..

● **اعياد عصير العنب !!**

ومن أقدم التقاليد التى ظهرت مع الاحتفال بعيد رأس

السنة صناعة الكعك والفطائر التى تفننوا فى صـــناعتها وتزينها وزخرفتها والتى انتقلت بدورها من عيـــد رأس السنة لتلازم مختلف الاعياد التى تميز كل منها بنـــوع خاص من الفطائر ـ ولما كان عيد رأس السنة يتفـق مع أعياد عصير العنب فقد ابتكر المصريون القدماء تقليد شرب الخمر وعصيره الطازج نخب العام الجديد وهو من التقاليد التى نقلها الرومان من مصر فى الاحتفال بأعيادهم وكانوا يستوردون النبيذ المصرى خصيصا فى الاعياد وصـنعوا سفنا خاصة لنقله من الاسكندرية الى روما وانتقلت منها الى مختلف الـدول الاوروبية ٠٠ هكـــذا كان المصريون القدماء أول من شرب نخب العام الجديد ٠٠ وعلموا العالم تبادل الانخاب فى صحة العام الجديد ٠٠

ومن العادات التى كانت متبعـة وخاصـــة فى الدولة الحديثة الاحتفال بعقد القران مع الاحتفــال بعيـد رأس السنة حتى تكون بداية العام بداية حياة زوجية ســـعيدة وكانوا يعقدونه فى معبدى ايزيس ربة الحب والحنان ومن رب الخصوبة والتناسل تبركا بهما ٠

كما كانت تقام أعياد ختان الاطفال فى نهاية أيام العيد وبدء العام الجديد ٠٠

ومن التقاليد الانسانية التى ســـنها المصريون القدماء خلال الايام المنسية التى تسبق العيد ٠ أن ينسى النـاس خلافاتهم وضغائنهم ومنازعاتهم فتقام مجالس المصـالحات بين العائلات المتخاصمة وتحل كثير من المشاكل بالصـلح الودى والصفح وتناسى الضـغائن وكانت تدخل ضـــمن شرائع العقيدة حيث يطلب الاله من النـاس أن ينســـوا ما بينهم من ضغائن فى عيده المقدس ٠٠ عيد رأس السنة

الذى يجب أن يبدأ بالصفاء والاخاء والمودة بين الناس حتى ينالوا رضى الاله وبركته ونعمته من العام الجديد فكان من التقاليد المتبعة أن يتسابق المتخاصمون كل مع اتبـاعه وأعوانه لزيارة خصمه أو عدوه فيقتسم الضيف مع مضيفه أو الخصم مع عدوه كعكة العيد بين تهليـل الاصـدقاء وتبادل الانخاب تأكيدا لما يقوله كتابهم المقدس (كتـاب الموتى) ان الخير أقوى من الشر والمحبة تطرد العداء وعين الاله تنظر الى مافى قلوبهم وخبايا نفـوسهم يوم رأس السنة ..

كما شاهد عيد رأس السنة لاول مرة استعراض الزهور أو كرنفال الزهور الذى ابتدعته كليوباترة ليكـون أحـد مظاهر الاحتفال بالعيد عندما تصـادف الاحتفـال بعيد جلوسها على العرش مع عيد رأس السنة ..

تعود الناس مع الاحتفال بالعام الجديد من الاهتمـام باستطلاع الغيب وقراءة الطالع والكشف عما يخبئه العام الجديد للافراد والجماعات بل وللعالم أجمع من تنبـؤات تملأ صفحات الجرائد والمجلات والمطبوعات ويتسـابق العرافون والمنجمون فى اعلانها مع مطلع العـام الجـديد استنادا الى علوم الفلك والتنجيم حتى أصـبح التنجيم وقراءة الطالع أو الغيب جزءا لا يتجزأ من الاحتفـال بعيد رأس السنة ..

● عيد الميلاد وشجرة الكريسماس

أسطورة الثالوث المقدس من أقدم الاسـاطير الفرعونية القديمة التى نشأت مع عقيدة الخلق والتكوين عند قدماء

المصريين – هى قصـــة صراع البشرية بين الخير والشر ، طرفا النزاع فيها هما « ست » الذى كان رمزا لاخطـــاء البشرية وشرورها فعبروا به عن الشر والخيـانة والحقـد والحسد ٠ و « أوزوريس » الذى كان علما على الحيـــاة المتجددة ورمزا للخير والعطاء ٠٠

وتروى الاسطورة كيف غدر ست بأخيه أوزوريس الذى كان يبغض فيه جمال وجهه وصـــفاء قلبه ورجاحة عقله وحمله رسالة الخير والمحبة بين البشر والتفافهم حوله ٠٠ فمكر به بان دبر مكيدة للقضاء عليه فاتفق مع أعوانه من الهة السوء والشر على أن يقيموا له حفلا تمجيدا لاعمـاله وتكريما لذاته ٠ ثم أعد تابوتا جميلا كسـوته من الذهب الخالص بحجم الاله الشاب وحده ٠ وزعم ست بأنه يقدم هذا التابوت النفيس هدية منه لاى اله من الحاضرين يصلح لان يكون مرقدا يناسبه ٠

وهكذا جرب كل من الضيوف حظه فى الاســـتلقاء فى التابوت دون جدوى حتى جاء دور « أوزوريس » وما أن رقد فى التابوت حتى أغلق « ست » وأعوانه عليه الغطاء ثم حملوا التابوت وألقوه فى نهر النيل فحملـه تيـــاره الجارف حتى بلغ البحر الابيض المتوسط وهناك تقـاذفته الامواج حتى وصـــل الى الشـــاطىء الفينيقى فى أرض « ليبانو » (لبنان) عند مدينة بيبلوس فنمت على الشاطىء شـــجرة ضخمة وارفة الظلال دائمة الاخضرار احتـــوت التابوت المقدس وحافظت عليه وحمته من عين الرقباء ٠ كان فى بيبلوس ملكة جميلة هى الالهة « عشتروب » التى خرجت تتريض على الشاطىء فبهرتها تلك الشجرة الجميلة النادرة التى ليس لها مثيـل الا فى أرض وادى النيـــل

فأمرت بنقلها الى حديقة قصرها ٠

أما ايزيس فقد استبدت بها الاحزان فبكت أوزوريس بدمعها المدرار وهى تبحث عنه على طول شاطىء النيل ٠٠ وكلما انهمرت الدموع من عينيها سقطت فى مجراه وامتزجت بمائه ففاض وكان الفراعنة ينسبون سبب الفيضان الى دموع ايزيس ٠٠

وبينما كانت تجلس بين سيقان البردى فى مستنقعات الدلتا وقد أنهكها التعب انصتت الى صوت رياح الشمال وهى تهمس فى أذنيها بأن الاله أوزوريس ينتظرها على شاطىء بيبلوس الذى حملته عنه رسالته اليها ٠٠ ومضت ايزيس الى بيبلوس ودخلت على الملكة عشتروت التى أكرمت وفادتها واتخذتها نديمة وكانت ايزيس كلما أقبل المساء تحول نفسها بقوتها السحرية الى نسر مقدس وتحوم حول الشجرة وتحط بين أغصانها تناجى روح زوجها ٠٠ ثم حدثت المعجزة وحملت ايزيس من روح أوزوريس ولم يمسسها بشر ٠ فحملت الطفل « حورس » فى أحشائها ورجعت به الى أرض مصر حيث أخفته بين سيقان البردى فى أحراش الدلتا وكان غذاؤه من الاوز المقدس الذى تحمله رياح الشمال ليحط فى البركة الى أن كبر وحارب الشر وأعوانه وخلص الانسانية من شرور ست فأطلق عليه المصريون لذلك اسم « الاله المخلص » ٠٠

وبعد ولادة حورس عادت ايزيس الى بيبلوس وأرادت عشتروت مكافأتها عندما عرفت أنها ايزيس معبودة المصريين فطلبت منها أن تهديها الشجرة التى يضم جزعها تابوت زوجها ٠ فأهدته اليها عشتروت وأمرت حراسها أن

يحملوا الشجرة الى سفينة أعدتها لها لتحملها هي وشجرتها المقدسة وتبحر بها الى أرض مصر ..

ولما وصلت أرض مصر تحمل شجرتها المقدسة أخرجت الجثة من تابوتها الذى كان يحتفظ به جزع الشجرة ونفخت فيه من أنفاسها فردت اليه الحياة فباركها هى وأبنها « حورس » ثم صعد الى السماء ليعتلى العرش ويصير ملكا للعالم الاخر ورئيسا لمحكمة الاخرة ..

وكان حورس الذى ورث عرش مصر من أبيه أوزوريس ثم أورثه ملوك مصر من البشر بعد ذلك واعتبره المصريون رمزا للحرب المقدسة ضد الشر وأعوانه وحاملا لرسالة الاله لنشر عقيدة التوحيد أما ايزيس فقد أطلق عليها المصريون القدماء اسم « نترموت » أى الام المقدسة التى تمنح الحياة وتحمى الناس من الشر . وكان للثالوث المقدس من الحب فى نفوس المصريين ما ملأها طوال التاريخ القديم وخلال فترات المحن والاضمحلال بالامل فكان عيد الميلاد .. أو عيد أوزوريس وتمثيل الامة وبعثه من أعز ما يحتفل به المصريون ومن أهم أعيادهم الدينية وسمى بعيد الميلاد نسبة الى ميلاد حورس من روح الاله كما أطلق عليه أيضا اسم عيد شجرة ايزيس نسبة الى الشجرة التى احتفظت بتابوت أوزوريس التي نقلتها ايزيس من بيبلوس الى مصر وزرعتها فى غابة مدينة أون بالقرب من المطرية .

وقد وصف بعض مؤرخى المسيحية شجرة ايزيس انها الشجرة التى أخفت السيد المسيح الطفل والسيدة مريم عن أعين جنود هيردوس الذين تتبعوه الى مصر .. وما زالت تلك الشجرة قائمة مكانها بالمطرية الى اليوم ويطلق عليها اسم شجرة العذراء .

وكان يحتفل بعيد الشجرة ابتداء من الدولة القديمة فى اول شهر (كاهى كا) الفرعونى أى روح على روح الذى سمى بهذا الاسم نسبة الى ميلاد حورس من روح الاله وهو رابع أشهر التقويم المصرى حين تنحصر مياه الفيضان فتعود الخضرة الى الارض فتنمو النباتات وتزهر الاشجار التي ترمز الى بعث الحياة وقد أصطلح المصريون القدماء على تهنئة بعضهم البعض بقولهم « سنة خضراء » وهى من الاصطلاحات العامية التى عبرت القرون وما زالت تعيش على شفاهنا ..

وتعود شجرة ايزيس للظهور مرة آخرى فى أعياد ميلاد المسيح وأطلقوا عليها في أوروبا « شجرة الكريسماس » .

ومن التقاليد المرتبطة بالاعياد وما يطلق عليها موائد الاعياد لنحر الذبائح فى عيد رأس السنة وديك الكريسماس الذى يتصدر مائدة عيد الميلاد فالذبائح فى أعياد رأس السنة هى امتداد لذبائح القرابين أما ديك الكريسماس فهو إمتداد أيضا للتقليد الفرعونى القديم .

وهكذا يحتفل العالم اليوم بأعياد رأس السنة والميلاد ليشارك مصر فى أعيادها التى كان لها الفضل فى اهدائها لهم واحتفالهم بها .

انقــــاذ أبــو الهــول رغـــــم أنفــــــه !!

● من هو ابو الهول ؟

وأبو الهول ٠٠ تمثال أقامه الملك خفرع (٢٦٧٥ ـ ٢٦٠٠ ق ٠ م) ليتحدى به كهنة عين شـــمس الذين أشـاعوا عن طريق السحرة أن عرش مصر سيجلس عليه حاكم من سلالة الالهة سوف تحمل به ســيدة من عين شــمس ويولد في المعبد ٠٠

وقد أمر الملك خفرع بطبع تمثال أبو الهول الذي يحمــل رأس الملك خفرع نفسه وجســـمه على شكل جسم الاســد ويتجه بوجهه نحو مشرق الشمس ومعبد هليوبوليس ليؤكد به الملك للشعب أن منبع الحكمة في رأســه (يرمز للحكمة بالذقن والعظمة والسمو بالانف) والقوة في جســـده التي عبر عنها بجسم الاســـد الرابض ومخـــالبه المتحفزة ٠٠ والايمان في قلبه الذى عبر عنه بانظاره التي يوجهها نحـــو شروق الشمس لتستقبل نور الاله ٠٠

لقد تحققت نبوءة الكهنة ـ أو حققوا نبوءتهم بأن زوجوا خنت كاوس (الملكة نيـــوتوكريس) من « اوسركاف » أحد تلاميذ المعبد الذى تجـــرى في دمائه روح الاله ٠٠ وبذلك انتهى حكم الاسرة الرابعة وانتقل من أسرة خوفو الى سلطان المعبد ٠٠

بدأ أول اعتداء على أبو الهول بواســـطة عوامل التعرية البشرية عندما ذكر التاريخ أن « أوسركاف » عمل على اهماله ومنع طقوس عبادته حتى غمرته رمال الصحراء بأكمـله ولم يبق ظاهرا منه سوى جبهته وعينيه فابتعــد أبو الهول عن مســـيرة التاريخ وأحداثه الســياسية منذ بداية الاسرة الخامسة عام ٢٥٦٠ ق ٠ م ولم يرد ذكره أو يســـترجع مكانته الا فى الاسرة الثامنة عشرة عام ١٤٢٠ ق ٠ م عندما قام تحتمس الرابع بازالة الرمال عن جسمه وأعاد له رونقه وأعاد طلاءه بألوانه الاصلية وأصلح معبده الجنــائزي الذى كانت عوامل التعرية البشرية وعواصفها الرملية قد دفنته

وخلد تحتمس الرابع أعماله في انقاذ أبو الهول منقوشة على اللوحة الجرانيتية التى وضعها بين يدي أبو الهول ٠٠ وبذلك يكون أبو الهول قد حظي بأول محاولة جدية لترميمه وصيانته واعادة اعتباره اليه والتى قاوم بها الزمن ٠

وقد تتابع ملوك الاسرة الثامنة عشرة على العودة الى عبادة الاله حورس واعتبروا أبوالهول رمزا له وأطلقوا عليه اسم (حور ــ أم ــ أختى) أى حورس الساكن فى أفق الشروق ٠

وقد تعرض أبو الهول لحملة أخرى من حملات التخريب في أواخر الاسرة العشرين عندما قام النزاع على السلطة بين كهنة أمون وكهنة رع وحورس التى عاصرت مختلف أسرات الغزو الاثيوبي والفارسى وهي الحملات التي تعرضت فيهــا آثار ملوك الرعامسة وتمـــاثيلهم للتخريب وأخذت جميعها طابعا خاصــــا وهو تحطيم الانف التى ترمز الى الســمو والعظمة والذقن التي ترمز الى الحكمة والســيطرة والخلود وهو ما نشاهده فى كثير من تماثيل ملوك ذلك العهد الذين اتخذوا أبو الهول رمزا لهم ومازالت آثار ذلك التخريب الذى

تركز على الانف والذقن ظاهرة فى تماثيل معبد الرماسيوم ومعابد أبو سنبل وتمثالى ممنون .

وهكذا كان أبو الهول ضـــحية لعملية من تلك العمليات التخريبية أى عوامل التعـــرية البشرية فامتـــدت أيدى التخريب لتحطيم أنف أبو الهول وذقنه ووشـــاح جانبى غطاء الرأس الذى يحمى صدره فأعطت الفرصـــة لعوامل التعرية الطبيعية لتعبث بصـــدره العارى وتنهش رقبته المكشوفة .

واذا القينا نظرة على رأس أبو الهـول حاليا لوجدنا آثار الذقن التى أزيلت أو حطمت واضحة كذلك غطاء الرأس الذى كان يغطى الصدر لازالت اثاره واضحة كما أن الجزء المتبقى من جانبى غطاء الرأس قد تم استناده بدعائم حجرية لمنعه من السقوط على أحد الجانبين ..

وقد امتدت يد التخريب لتغمره مرة ثانية بالرمال وبقى مكانه ألفى سنة أخرى حتى قر له أن تتحرر يداه ويخرج من معتقله على يدى عالمنا الكبير الدكتور سليم حسن عام ١٩٣٦ وكان أول من سجل تاريخه الحقيقى فى عدة مؤلفـــات .. كما كان أول صـــــوت ارتفع عام ١٩٣٨ مطـــالبا بترميم أبو الهول ومعبده الجنائزى والعمل على صيانته .

● **غير صحيح !**

ان قصة علاقة ذقن أبو الهول التى يرجع انها تعرضت للكسر مع أنفه فى نفس الوقت ينفيها بعض الخبراء اعتمادا على أن صور أبوالهول التى أخذت أثناء الحملة الفرنسية بعد أن قام نابليـــون بزيارة الاهرام وأبو الهول وأطلـق مدافعه لتحطيم أنف التمثال لا يوجد بهـــا أى أثر لوجود الذقن ..

لقد شهد التاريخ لنابليون اهتمامه الزائد وشغفه الشديد بآثار الفراعنة حتى انه استدعى علماء آثاره وبعثاته العلمية من فرنسا وكلفهم بتسجيل أثرها وكتابة تاريخها والعمل على الحفاظ عليها وجمعها فى دار للاثار انشئت لها فكيف يتهم نابليون بأنه مسئول عن كسر أنف أبو الهول الذى وصف فى مذكراته زيارته لأبى الهول عند وصوله الى أرض مصر للتبرك به أسوة باسلافه من أباطرة الرومان وقوادهم العظماء ٠

ان قصة تحطيم أنف أبو الهول قد ورد ذكرها فيما دونه مؤرخو العرب الذين كتبوا تاريخ مصر قبل الحملة الفرنسية نفسها بعدة قرون فذكر المقريزى « أن صوفيا يدعى صائم الدهر هو الذى حطم أنف أبى الهول لأنه رمز للوثنية ٠٠ وكانت النساء تتبرك به وتقدم له النذور ويقال ان عاصفة رملية زحفت على الاراضى الزراعية الممتدة من هضبة أبى الهول الى النيل فاتلفت المزروعات وأهلكتها ونسب الناس ذلك الى غضب أبى الهول لتشويه أنفه ٠ » ٠

كما ذكر البغدادى نفس الواقعة وقال ان ذلك الحادث كان سببا فى اعتقاد العامة فى كرامات أبو الهول كما ذكر أن الذى حطم أنفه أحد مشايخ المغاربة فى عهد الفاطميين عند الكشف على مداخل الهرم الأكبر ٠

ويصف القضاعى الذى شاهد أبو الهول بغير أنف بأنه رأس ضخم يبرز من رمال الصحراء حتى عنقه ويعتقد الناس بأن له جسما ضخما مدفونا تحت الارض ٠٠ ويطلق عليه المصريون اسم « أبو الهول » وانه يحرص أرض مصر ويحميها من زحف رمال الصحراء ٠

ويحكى الرحالة فانسليب انه سمع أن أحد مشايخ

المغاربة الصوفيين هو الذى حطم تماثيل الاسود التى أقامها الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ليزين بها قناطر القـاهرة وحدائقها والتى تحاكى رأس أبى الهـول الرمز الوثنى الذى كان العامة يعتقدون فى كراماته وخرافاته فقام بعد تحطيمها بتحطيم وجه أبى الهول ..

وهكذا أصبح نابليون بريئا من دم أنف أبى الهول ..

وهكذا فقد شهدوا جميعا بأنأنف أبو الهول كان محطما عندما قاموا بزيارته من عدة قرون قبل حضور نابليون .

والحقيقة الوحيدة التى يمكن اســـــتخلاصها ان أنف أبو الهول كان محطما من عصور قديمة ومما لا شك فيه أن الانف تحطمت مع الذقن فى نفس الوقت فى عصور قديمة أسوة بما اتبعه المخربون مع العديد من التمـــاثيل خـــلال الثورات الدينية والسياسية التى تقف تلك التمـــاثيل فى مصر ومتاحف العالم شاهدة عليها .

فالمسألة ليست مسألة من المســـئول عن ضياع أنف أبو الهول أو ذقنه بل المســـألة مسألة كيف ننقذ تمثـال أبو الهول من العبث غير المسئول بالتغنى بمحاولات انقاذه التى ابعدتنا عن صلب الموضوع .. وهو كيفية انقاذه .. ؟!

● اربعون سنة من الكلام !

لقد أضعنا اربعين عام فى الاســــتجابة الى ما طالب به الدكتور سليم حسن الذى كشف تمثال أبو الهول وســجل تاريخه وطالب بانقاذه وترميمه وصيانته . أضـعنا أربعين عاما فى تشخيص العلة ووصف العــــلاج الذى قد لا يبدأ قبل موت المريض ..

أضعنا الوقت في المناقشات والاسئلة والكلام والبحث عن المسئول عن كسر أنف أبو الهول أهو نابليون أو صائم الدهر أو بفعل فاعل مجهول علينا أن نبحث عنه .. ؟!

من المسئول عن تآكل صدر أبو الهول ورقبته أهي عوامل التعرية أم مياه الرشح أو السد العالي أو مجاري نزلة السمان لتحال المسئولة الى القضاء والقدر .. ؟!

وهل نرد له اعتباره وصحته بعملية ماكيساج أو عملية تجميل وشد جلد وحفلات الرقص والموسيقى والصوت والضوء لتعيد اليه الشباب .. ؟!

ام سننتظر هذه المرة حتى تسقط الراس ليتأكد المسئولون انها كانت فعلا في حاجة لعلاج لنبدأ بالبحث عن المسئول وتنتهي لجان البحث بقفل المحضر ويكون الفاعل مجهولا وننتظر ليأتي فاعل خير معلوم اسمه « اليونسكو » وخبراته الاجانب لانقاذ مايمكن انقاذه مما تبقى منه ..

وحتى لا يضيع الوقت في دوامة مناقشات اللجان يجب أن نبدأ فورا بانقاذ رأس التمثال من السقوط وفقا للاقتراحات الفنية التي سبق تقديمها وعرضها على المسئولين وعند ذلك يكون أمام اللجان الوقت الكافي لاربعين سنة اخرى لدراسة أحسن الطرق العلمية والفنية والتكنولوجية والاثرية .. لصيانة أبو الهول ورد الاعتبار اليه تكون صيانته بترميمه وحمايته من عوامل التعرية الطبيعية والبشرية الحالية والمستقبلة . أم بالعمل على اعادته الى أصله بعد الرجوع الى المراجع التاريخية وليست هناك صعوبة في الوصول اليها .

مـن سنوسرت الثالـث
إلـى قناة السـويس !!

قناة السويس ٠٠ أول قناة صناعية شقتها يد الانسان على وجه الارض لتربط البحر الابيض بالبحر الاحمر ، فتربط الشرق بالغرب وتربط العالم بمصر مهد الحضارات ومهبط الاديان ٠ فكانت وسيلة انفتاح مصر ومدنيتها على العالم أجمع على مر العصور ٠

ان قناة السويس التى حفرها قدماء المصريين أول مرة من أربعة آلاف عام تقريبا تعرضت لمختلف عوامل العدوان والتخريب وأعيد حفرها تسع مرات ٠

وها هى بعد تحريرها تبدأ مرحلة جديدة من مراحل إعادة حفرها وتعميقها وتوسيعها وتزويدها بمتطلبات العصر الالكترونى الحديث تسجل صفحة جديدة من صفحات صمودها فى صراعها مع تحديات الزمن ٠

سجل تاريخ مصر الفرعونى للملك سنوسرت الثالث أحد ملوك الاسرة الثانية العظام الذى حكم مصر من ١٨٨٧ الى ١٨٥٠ ق ٠ م انه أول من حفر القناة الثلاثية التى تربط البحر الابيض المتوسط (بحر الشمال الاخضر العظيم) بالبحر الاحمر (بحر اروترى) بحفر قناة تصل كل منهما بالبحيرات المرة وربط البحيرات فى نفس الوقت بنهر النيل عند مدينة منف عاصمة البلاد حتى يتمكن أسطوله الحربى وبسفنه التجارية من الانتقال من نهر النيل ومدينة منف الى كل من موانى البحرين الابيض والاحمر ٠ بالبحيرات المرة وقد فسر المؤرخون توقف العمل فى حفر

القناة بعدة تفسيرات • فوصف هيرودوت قصة حفر نخاو للقناة بقوله :

« انجب بسماتيك ولدا هو « نيخوس » وهو أول من حفر القناة التي تؤدى الى بحر « اروترى » والتى اتم حفرها من بعده دارا الفارسى ، وطول القناة يساوى مدى ابحار أربعة أيام وقد حفرت عريضة حتى أن سفينتين من ذوات ثلاثة صفوف من المجاديف تمخرانها جنبا الى جنب • .

ويؤتى اليها بالماء من النيل منصرفا من مكان فوق مدينة بوباسطس بالقرب من مدينة باتوموس وتنتهى الى بحر أروترى • حفر منها الجزء الذى في السهل المصرى وهناك يوجد أصغر طريق وأقصره للذهاب من البحر الشمالى الى البحر الجنوبى •

وتبلغ المسافة من هذا المكان حتى الخليج العربى ألف ستاد أما القناة فهى أطول من ذلك بكثير بقدر ما هى أكثر تعرجا • وقد هلك من المصريين أثنـــاء عملهم فيهـا مائة وعشرون ألف عامل وتوقف نيخوس فى منتصـف عملية الحفر لان نبوءة عاقته » •

● قناة دارا الاول

يحكى التاريخ ان قمبيز بعد هزيمة جيوشه المعروفة وخروجهم من مصر قام بتخريب ما قام نخاو بحفـره من قناة السويس حتى لا يهاجم المصريون فلول جيوشه عنـد خروجها الى البحر الاحمر • حتى أتى دارا الاول خليفـة قمبيز على عرش الامبراطورية الفارسية وثانى ملوك الاسرة ٢٧ بمصر (٥٢٢ ـ ٤٨٥ ق • م) فنهج سياسة جـديدة

لمصالحة المصريين على النقيض من سياسة سلفه التعسفية.
فذكر المؤرخ « ديودورس » عمـــل دارا العظيـم على استمالة نفوس المصريين بحسن معاملتهم واحترام عقائدهم فأقام لآمون معبـــدا فى واحة الخارجية • وقدر المصريون ذلك ورفعوه الى مراتب ملوكهم من فراعنة الوادى ، ولما لم تتمكن سفنه من الوصول الى مصر من البحر الاحمر فقد أمر باعادة حفر القناة وفتحها للملاحة كما كانت •

فذكر هيرودوت « ان دارا الاول ملك الفرس أتم حفر القناة التى شرع فى حفرها نيخوس لتصل بحر الشـمال ببحر اروترى الجنوبى ليربط منف بعاصمة الفرس ويرضى المصريين باعادة تعمير قناتهم المقدسة » •

وقام دارا الاول بحفرها عام ١٥٠ ق • م وســـجل تاريخ افتتاحها على لوحات داريوس المشهورة التى وضعت بالقرب من البحيرات المرة وتحمل النص التالى :

« ملك الملوك داريوس الاول ـ انا الفـــارسى من بلاد الفرس غزوت مصر واصدرت اوامرى بحفر القناة من نهر يسمى النيل يخترق أرض مصر ويصلها الى البحر الذى يمتد من أرض مصر الى أرض الفرس ولما تم فتح القنـــاة أبحر أسطول مكون من ٢٢ سفينة محملة بالتجارة والغنائم لتعبر النيل وتصل الى بحر الجنوب وتدور حول الجزيرة لتصل الى فارس » •

وذكر ديودورس « ان القناة التى كان نيخوس قد شرع فى حفرها وضربها قمبيز الفارسى اعاد حفرها واصـلاحها الحاكمان الفارسيان داريوس واجزركسيس الا انهـا لم تعمر طويلا وتوقفت الملاحة بها الى أن جاء الاسكندر واعاد حفرها » •

● قناة الاسكندر الاكبر :

دخل الاسكندر الاكبر مصر عام ٣٣٢ ق٠م بعد انهيار امبراطورية الفرس وتقرب الى المصريين باعتناق ديانتهم ونسب نفسه للاله آمون بمعبد سيوه وتوج ملكا فى معبد الاله بتاح بمنف • واشتهر الاسكندر بمشرعاته الهندسية التى نسبت لنشأته الثقافية العالية •

وقد ذكر مؤرخو اليونان ان من أهم المشروعات التى قام بنفسه بالاشراف على تخطيطها وتصميمها مشروع مدينة الاسكندرية التى جعلها عاصمة للبلاد والموانى الحربية لاسطولى البحر الأبيض والاحمر ومشروع اعادة حفر قناة السويس وتوسيعها مع توصيلها بفرع جديد يمتد من أبى قير مخترقا الدلتا حتى البحيرات المرة وقد بدأ فعلا فى تنفيذ ذلك المشروع وغيره من بقية مشاريعه ، ولكنها توقفت بعد وفاته خصوصا واذا علمنا أن حكمه فى مصر لم يدم أكثر من سنة واحدة غادرها بعدها ليكمل فتوحاته الاسيوية ولم ير مصر بعد ذلك حيث نقلت جثته اليها لتدفن في منف وتنقل الي الاسكندرية عاصمة ملكه الجديدة بعد أربعين سنة عندما ظهرت مدينته الى حيز الوجود •

● قناة بطليموس الثانى :

تولى بطليموس الثاني (٢٨٥ ـ ٢٤٦ ق ٠ م) بعد أن استتب الحكم في البلاد أيام سلفه بطليموس الاول الذى اشتهر بفتوحاته العسكرية ومشروعاته العمرانية ، ولكنه كان مكروها من المصريين كأجنبى مستعمر •

ولذا فقد عمل بطليموس الثانى عندما تولى الحكم على استمالة المصريين باحترام عقائدهم وتشبه بالاسكندر الاكبر فى سياسته حتى اعد شجرة للعائلة نسب نفسه فيها للاسكندر المقدونى وليس للاغريق وادعى بأن البطالسة هم الخلفاء الشرعيون لعرش مصر وانهم نسبة الى الاسكندر من سلالة الاله أمون رع ٠

وتمشيا مع التقاليد المصرية ورغبات الكهنة قام باصلاح المعابد ومنحها الهبات وحبس عليها الاوقاف وقرب العلماء والمثقفين من المصريين الى عرشه واستعان بهم فى مشروعاته العمرانية وذكر المؤرخون ان أهم المشاريع التى قام بها فنار الاسكندرية ومكتبتها المشهورة وحفر قناة السويس واقامة منشآتها ٠ وذكر بعض المؤرخين انه قام بحفر القناة المقدسة تنفيذا لوصية جده الاسكندر الاكبر ٠

وقد بدأ حفر القناة بانشاء ميناء اسطول البحر الاحمر « هيروبوليس » مكان ميناء السويس الحالى — كما انشأ مدينة آرسنوس (نسبة الى زوجته الملكة أرسنوس الثانية) وأقام لها معبداً بعد موتها على بحيرة كم اور (بحيرة التمساح) وامتد حفر القناة حتى البحيرات المرة لتتصل بفرع النيل الشرقى ثم اعاد حفر الجزء الشمالى الموصل الى البحر الابيض ٠

واتم حفر القناة بأكملها فى سنتين استعان فيها بالاسرى الذين جلبهم والده فى حروبه الاسيوية وبالعبيد الذين اتى بهم من الجنوب ٠

وافتتح بطليموس الثانى بسفينته الخاصة التى أبحر بها من الاسكندرية لتدخل القناة وتعبرها الى بحر اروترى الجنوبى وكان طولها ٢٨٠ ذراعا وبها أربعون صفا من

المجدفين • وعن طريق القناة دخلت الجمــال والجاموس الافريقى الى وادى النيل لأول مرة كما جلب الفيلــة التى استخدمها مع قواته العسكرية فى الحرب •

● قناة الامبراطور تراجان

رغم ان عهد الامبراطور تراجان الرومانى فى مصر كان عهد قلاقل وثورات الا انه ذكر ان من أهم أعماله فى مصر اعادة حفر القناة التى قام بانشائها ملوك الفراعنــة ودارا الفارسى واحتفل بافتتاحها وفتحها للملاحة عام ١١٧ م •

وقد سجل الملك سنوسرت افتتاح القناة الثــلاثية فى لوحة منحوتة على الواجهة الخارجية للجدار الشمالى لمعبد الكرنك ــ وعبر الفنان المصرى القديم عن حفــر القنــــاة والاحتفال بافتتاحها فى تلك اللوحة أصدق تعبير فرسم فى الجزء الشمالى من القناة الذى يصلها بالبحر الابيض مختلف أنواع الاسماك البحرية المميزة له ، كما رسم فى الجزء الجنوبى منها الذى يصلها بالبحر الاحمــر مختلف الاسماك التى اشتهر بها • كما رســم فى الفــرع الذى يربطها بالنيل أسماك نهر النيل •

وتمثل اللوحة الملك سنوسرت الثالث وهو يقف بعربته الحربية عند قنطرة الحاجز الترابى الذى يفصــل جزءى القناة عند مدينة حور (ثارو) مكان مدينة القنطرة الحالية حيث أقيمت أقواس النصر • وسجل تاريخ افتتاحها فى الشهر الثانى من فصل الفيضان فى العام الثانى عشر من حكمه ــ بعد انتصاراته المجيدة على قبــائل الشــاسو والرنتو •

ان اللوحة تفسر أكثر من حقيقة . فبجانب انها تسجل ما قام به الفراعنة من تخطيط وحفر أول قناة صـــناعية على وجه الارض ، وأول مشروع متكامل لقناة الســـويس التى تربط البحرين الابيض والاحمر . فهى تفسر لغـزا تضارب المؤرخون فى تفسيره وهو ما يقال عن تســـخير الفراعنة لشعب مصر فى بناء الاهرامات وحفر القناة التى ذهب ضحيتها فى كل مرة عشرات الالوف من الضحايا فى أعمال السخرة .

فهذه اللوحة أكدت ما ذكره مانيثـون وهيرودوت بأن المصريين كانوا يسخرون أسرى الحروب فى مشروعات حفر القناة والطرق واستصلاح وبناء الاهرامات ـ فصـــورت اللوحة الاسرى على اختلاف اجناسهم وهم يساقون لحفـر القناة بينما وقف المصريون والكهنة على الضـــفة الاخرى من القناة يحيون الملك ويحتفلون بافتتاح القناة .

وقد وصف هيرودوت تسخير الاسرى فى حفر القنـاة بقوله :

« عندما عاد سيزوستريس (سنوسرت) من حـروبه فى البلاد الاسيوية استخدم العدد الوفير من الاسرى الذين أحضرهم معه من البلاد التى أخضعـــا ، وهم الذين جروا الاحجار الضخمة التى نقلت فى عهده الى معبد هيفايستوس وهم الذين سخروا فى حفر القناة فقد كانوا أسرى وكان عليهم أن يعملوا ليعيشوا » .

وقد استمر الاحتفال بحفر قناة الســـويس كعيد من أعياد سنوسرت المقدسة حتى أواخر الاسرة الثامنة عشرة

لقد لعبت قناة السويس أو قناة سنوسرت دورا هـاما فى تاريخ مصر العسكرى وتجارة مصر فى عصرها الذهبى

خلال الاسرة الثانية عشرة فى كل من حروب وفتوحات أحمس وتحتمس وامنحتب الثانى • كما ورد فى وثائق حتشبسوت وسنموت واخناتون وامنحتب الثالث ذكر اسم القناة التى كانت تمر خلالها السفن الحربية فى معاركهم وفتوحاتهم المشهورة وسفنهم التجارية الكبيرة التى كانت تنقل أخشاب الارز والاشجار والحيوانات ومواد البناء والبضائع من مختلف بلاد العالم عبر البحرين الابيض والاحمر وتنتقل بها من القناة الى مدينتى منف وطيبة على شواطىء النيل •

ومما هو جدير بالذكر ان أول رسوم فرضت على السفن والبضائع التى تمر بقناة السويس صدر بخصوصها مرسوم يرجع الى أواخر حكم الملك سنوسرت وكانت تحصل عند بوابة ثارو (مدينة القنطرة) للسفن التى تعبر القناة بين البحرين الابيض والاحمر ، وعند البحيرات المرة للسفن التى تدخل البلاد عبر الفرع الثالث لتصل الى نهر النيل • وقد ورد ذكر الرسوم ضمن قوانين الضرائب التى وضعها كل من رمسيس الثانى وامنحتب الثالث •

● قناة سيتى الاول :

تولى سيتى الاول (١٣١٩ ـ ١٣٠٠ ق • م) الحكم بعد وفاة رمسيس الاول وكان يلقب فى حياة والده قائد الجيش ورئيس الرماة والمشرف على البلاد الاجنبية والكاتب الملكى المشرف على حصون الحدود فاتبع سياسة حور محب لاعادة سيادة مصر ومجدها الامبراطورى بعد انهيارها فى أواخر الاسرة الثامنة عشرة •

واتخذ كلا من تحتمس الثالث وسنوسرت الثالث قادة يقتدى بهم فى سياسته وحروبه واصلاحاته ٠

ولما كانت قناة السويس قد أهملت وتخربت فى نهاية الاسرة الثامنة عشرة ولم تعد تصلح للملاحة البحرية أو انتقال السفن الحربية وانقطع اتصـــال البحر الابيض بالبحر الاحمر كما ورد فى بعض النصوص القديمة التى ترجع الى عهد رمسيس الاول فقد وجه سيتى الاول قبل أن يبدأ غزواته وفتوحاته المشهورة ، وجه اهتمامه لاعادة فتح القناة للملاحة وازالة الكثبان الرملية والمســتنقعات التى كانت تعترض مجراها واعادة اصــلاح القلاع التى تحصنها ثم بدأ فتوحاته فكتب له النصر فى حملاته الاربع ومعاركه الاربع والعشرين التى أعاد بها مجد الامبراطورية

وقد ورد فى ورقة انسطاسى الاول التى وصف فيها رحلات سيتى الاول قوله « أقام ســيتى الاول قلعة على القناة التى حفرها لتفصل مصر عن الصــحراء الشرقية » ورسمت البردية القناة بشاطئيها والاشــجار التى زرعت لتحمى ضفتيها من زحف الرمال والعواصف والكثبـــان التى تردمها ، كما وصفت الورقة حفلات اسـتقبال الملك عند عودته منتصرا من البلاد الاسيوية عند عبور القنـــاة بالقرب من قلعة ثارو وتشبه الى حد بعيد لوحة سنوسرت الثالث بالكرنك ٠

● قناة نخاو الثانى

نخاو الثانى (٦١٠ ـ ٥٩٥ ق ٠ م) ثانى ملوك الاسرة ٢٦ اشتهر بحملته التى قادها على فلسطين واستولى فيها

على سوريا بأكملها بعد هزيمة ومقتل يوشع ملك اليهود.

ولم تطل سيطرته عليها طويلا حيث هـزم فى موقعـة قرقميش على نهر الفرات على يد بختنصر واضـــطر الى الانسحاب من سوريا والاهتمام بشئون بلاده الداخلية • فاتبع سياسة سيتى الاول فى اصلاحاته الداخلية فقـــام باصلاح المعابد تقربا لكهنة آمون الذين نصـــحوه بعدم المغامرة بحرب قرقميش (نبوءات ميليت) فوجه اهتمامه الى مشروعات الرى وحفر الترع وارسال البعثات التجارية حول أفريقيا وقام بحفر القناة التى تصل البحر الابيض بالبحر الاحمر التى كانت تعرضت للتخريب والاهمال التام خلال عصور الاضمحلال والغزو الاجنبى فى العصر المتأخر من الاسرات الثانية والعشرين الى السادسة والعشرين •

وقد أجمع المؤرخون بأن الملك نخاو لم يتم حفـرها بل توقف بعد أن أتم الجزء الجنوبى منها الذى يربط البحر الاحمر •

● قناة عمرو بن العاص :

وضع عمرو بن العاص مشروع قناة جديدة تربط مدينة فرما ـ كان موقعها مكان بورسعيد لتصل البحر الابيض بالبحر الاحمر ولكن الخليفة عمر بن الخطـــاب عـارض المشروع خوفا من طغيـــان البحر الاحمـر على أرض مصر واستبدلها بالقناة الرومانية القديمة التى تربط الفسطاط ببحر القزم وهو الاسم القديم لمدينة السويس (كليسما) وكان الغرض منها التبادل التجارى مع البلاد العـــربية ونقل الحجاج من الفسطاط الى بيت الله الحرام مباشرة •

استخدمت زهاء قرن ونصف الى أن قام الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بردمها عندما تمرد عليه أهل المدينة ، حتى لا تستخدم في نقل المؤن اليهم وليمنع التجارة مع أهل الجزيرة العربية ٠

وقد بقيت القناة مهملة حتى العصر الحديث ٠

● قناة الخديوى اسماعيل :

ان مشروع قناة السويس الحالية وضعه المهندس الايطالى نيجريللى وعرضه على الحكومة المصرية وبعض الحكومات الاجنبية فوقفت فى سبيله مجموعة من الاعتراضات السياسية والاقتصادية ٠

ثم تقدم به المهندس الفرنسى ديليسبس مرة أخرى الى سعيد باشا والى مصر وعرض عليه قيام شركته بتنفيذ المشروع الذى قدرت تكاليفه بسبعة ملايين من الجنيهات موزعة على ٤٠٠ سهم وان يجعل لمصر مركزا ممتازا فى الشركة وادارتها وحصولها على ٤٥٪ من اسهمها ٠

وقد تعثر تنفيذ المشروع فى مواجهة حملات التشكيك التى قامت بها الحكومة البريطانية لدى الباب العالى ومختلف الدول الغربية ٠ وتوقف المشروع بعد أن كان قد تم حفر القناة بعرض ٥٦ مترا وعمق ستة أمتار وبطول ١٦٠ كيلو مترا ٠

وعندما تولى اسماعيل باشا الحكم عام ١٨٦٢ ووجد أن المشروع وقد وصل الى مرحلة لا يمكن التراجع معها ٠ فبعد أن كان ثورة الحكومة البريطانية والبرلمان الانجليزى مركزة على عدم صلاحية المشروع من النواحى الفنية وانه

سيعود بالخراب الاقتصادى على مصر والشركة الفرنسية والمساهمين الاجانب تحولت الحملة على الشركة لانها تسخر العمال المصريين فى أعمال الحفر وحمل الرمال بدون مقابل وفى ظروف لا انسانية • كما ان الشركة وضعت يدها على أجزاء كبيرة من أرض مصر باسم المشروع فاستغل اسماعيل تنفيذ المشروع •

ونص الاتفاق الجديد الذى وقعه مع الامبراطور نابليون الثالث على ما يلى :

أولا ـ منع الشركة من تشغيل العمـــال المصريين ومن يرغب منهم العمل بالشركة ينال منها الغـذاء والكســاء والعـــلاج ويتقاضى أجرا يوميا ثابتا قدره فرنك واحـد للبالغين •

ثانيا ـ تقوم الشركة باعداد الحفـــارات والجـرارات الميكانيكية والقاطرات ومعدات الحفر (وتعتبــر قنـــاة السويس أول قناة حفرت فى العالم بالوسائل الميكانيكية)

ثالثا ـ اعادة الاراضى الزائدة عن حاجة العمل وقدرها ١٥٠ ألف فدان الى الحكومة المصرية •

وهكذا بدأت أعمال الحفر بعد وصول المعدات الجديدة والآلات والقاطرات والمواعيد يوم ٨ يناير ١٨٦٥ واحتفـل رسميا بافتتاح القناة يوم ١٧ نوفمبر عام ١٨٦٩ •

واستمرت القناة الجديدة تقوم بدورها كشريان ملاحى حيوى يربط الشرق بالغرب خلال مائة عام حتى بدأ العدوان عليها وعلى أرض مصر عام ١٩٦٧ حيث طويت صفحة أخرى من صفحات تاريخ صراعها مع الزمن فتتوقف عن عملهـا بعد أن يتعرض مجراها للتخريب والمعوقات •

وتفتتح صفحة جديدة عام ١٩٧٤ يعـــاد فيها حفـرها وصيانتها وتعميقها واعادة تخطيطها بابعاد جديدة ومقاييس علمية وتكنولوجية جديدة • وافاق وآمال جديدة تتمشى مع احتياجات الامة ومطالب العصر •

لن تكون القناة فى هذه المرة هى الحد الفاصل بين وادى النيل وصحراء سيناء ، بل سيشمل تعميرها امتداد العمار لمنطقة سيناء والضفة الشرقية • ستصبح شريانا حيـويا لمنطقتى شاطئيها كما سيتمشى التخطيـــط مع التطـــور الحضارى للعصر الحديث ومقومات مشروعات التخطـيط السياحى والصناعى والعمرانى والزراعى •

لن تصبح فى هذه المرة كوسيلة للنقل لتصـــل البحر الابيض بالبحر الاحمر أو عالم الغرب بعالم الشرق • بل وسيلة انفتاح وتبادل حضارى بين مصر والعـــالم أجمع بمختلف اقتصاديات خدماته المتبادلة وربما اتجـه التفكير الى احياء تخطيطها الثلاثى الاول أى باعادة حفـر قنـــاة اتصالها بالنيل • حتى تصل القناة الى القاهرة عاصـــمة الشرق وقلبه النابض •

فهـــــرس

رقم الايداع : ٤٤٢٢ / ٨٨
الترقيم الدولى : ٢ - ٣٦٧ - ١١٨ - ٩٧٧ ISBN

هذا
الكتاب

لايعرف التاريخ كاتبا أسوأ حظا من هذا الكاتب المصرى الجالس القرفصاء ، فهو المؤلف الحقيقى والمجهول لأشهر حكايات الدراما الخالدة ، وهو أول من ابتكر تلك « التيمات » الذى ينوع على أنغامها الروائيون على مر العصور . بداية من الاغريق حتى العصر الحديث ..

فمن منا يعرف أن :

سندريللا وعلى بابا ومجنون ليلى وشمشون ودليله والشاطر حسن وحكايات السندباد البحرى وألف ليلة وليلة وحتى الكونت دى مونت كريستو ، كلها خرجت من معطف التراث الفرعونى !

وجد الدكتور سيد كريم هذه الحكايات موزعة فى البرديات الفرعونية فعكف عليها وهو الذى يجيد اللغة الهيروغليفية ، وقدم هذه الدراسة البديعة ، التى تعتبر أول دراسة من نوعها ، والتى تكشف بداية هذه الروائع الدرامية ، وكيف سبق الكاتب المصرى القديم العالم كله ، وكما كان سكان أرض وادى النيل هم أول عرفوا الضمير ، كانوا أيضا أول من هذب الوجدا القص ..

إن هذا الكتاب بداية الطريق لدراسة أوسع نصوص أكثر تؤكد أن معظم معالم الأدب العال كاتبها الأول هو ذلك المصرى الجالس القرفص

والدكتور سيد كريم فى هذا الكتاب يسجل النصوص الأصلية .. إنه كتاب ينبغى أن يُق